16 em Année No. 765
Lundi — 1 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٧٦٥» القاهرة في يوم الاثنين ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — أول مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتي اليومية :

قصة فتـــاة ..

— ٢ —

يوم الثلاثاء ٨ مايو سنة ١٩٤٥ :

شغلت بالى الآنسة (س) بقدومها المفاجىء وموعدها المضروب ، فجهدت أن أتذكر ما أنسيت من تلك الوساوس التى كان يلقيها على صدرها الشيطان فتنفثها هى فى رسائلها إلىّ شواظاً يضطرم ولا يحرق ، وسماراً يحتدم ولا يُذوى . وهل أستطيع أن أتذكر أضغاث أحلام تذهب عند الصباح ، أوهواجس أوهام تهرب من العقل ؟ لقد كانت فى رسائلها أشبه بالمحمومة تهيج بها الحرارة فتهذى ، أو يأخذها النعاس فتحلم . إذن أعود إلى أوراقى الخاصة لعلى أجد فى ثناياها بعض تلك الرسائل فأعيد قراءتها لأستجلى ما غمض فى ذهنى منها ، ولأستمد لما أتوقع يوم اللقاء من الحديث عنها

وجدت بتوفيق من حسن الحظ طائفة من هذه الكتب الوردية الورق ، المعطرة المداد ، المنمقة الخط ، فرتبتها على حسب تواريخها ثم أخذت أقرأها كتاباً بعد كتاب حتى فرغت منها ، وفى نفسى لهذه الفتاة صورة مكتملة الأعضاء ما كانت لتبرز فى ذهنى على هذا المثال لو بقيتُ على تصورها من كتبها المتفرقة ، كل عضو على انفراد ، وكل قسَمة على حِدة .

كان أسلوب رسائلها فى طورها الأول أسلوب التلميذة الراغبة فى العلم : تشاور فيما تفعل ، وتسأل عما تجهل ، وتجادل فيما أجيب . ثم صار فى طورها الثانى أسلوب الصديقة الطامعة فى المؤونة : تشكو ضيقها لتلتمس الفرج ، وتصف وحشتها لتطلب الأنس ، وتذكر خطأها لتتلمس الصواب ، وترسم غايتها لتتبين الطريق . ثم أصبح فى طوره الثالث أسلوب العاشقة الظامئة إلى الغزَل : تعطف كل حديث إلى الحب ، وتقصر كل نعيم على الحب ، وتحاول أن تعرف رأيى فى الحب ، وتسألنى أن أروى لها أبلغ ما قيل فى الحب ، وتطلب منى أن أكتب رسالة غرام إلى آنسة مجهولة ، لتعرف كيف تهفو روح إلى روح ، وتنجذب نفس إلى نفس ، وينسكب قلب فى قلب ، فأحاول فى ردى عليها أن أعيد السكينة إلى قلبها ، وأن أصل بالموعظة الحسنة بينها وبين ربها ، ولكنى كنت معها أشبه بالسائس يريد أن يكبح الفرس الجموح من غير شكيمة ، أو بالسائق يحاول أن يقف السيارة المنحدرة من غير فرملة . لقد انفجر فى صدرها شريان العواطف الطاغية ، فهو لا ينفك يفور بالهوى الجياش وينفح بالشهوة الدافقة . وهيهات أن يحسمه رَقوء أو ضماد ! أعيانى الانفجار فتركت العرق العاند ينزف ، ووقفت منه موقف الحائر الشدوه أنظر إلى العواطف المسفوحة وهى تتمثل فى ألوان قوس الغمام ، وتتشكل فى صور من الأخيلة والأحلام ، ثم تتحول إلى قطع من الأسجاع والأنغام ، فأعجب أو أطرب أو أغضب ، ولكنى

أملك غير ذلك ، ولا أستطيع وا أسفاه أن أصدها عن المهالك !

أخذت كتبها تنثال على بعجيب الأحاديث وغريب الحوادث أها ولا أجيب عنها . لقد برزت فى رسائل هذا الطور عارية حياء على الوجه ، ولا احتشام على الجسد . صرحت بأنها لم تكن ادقة حين كتبت إلىّ فى أول الأمر تطلب المعرفة أو تبغى ميحة ، إنما لبست هذا البرقع الكاذب لتستطيع أن تدخل على ضح النهار من الباب العام ، حتى إذا حصل التعارف وبدأ التآلف رت برقع الرياء ، ووضعت وجه المرأة أمام عين الرجل وقالت له ! نا ذى كما خلقنى الله ووجهنى القدر ! خلت حياتى من كل عمل كل أمل فلا أفكر إلا فى الحب ، ولا أحلم إلا بالحبيب . كنت مدرسة الداخلية لا أسمع من أترابى غير أحاديث الهوى ، يؤلفنها حوادثهن وخيالهن ، أو يسرقنها من أمهاتهن وأخواتهن ، رويتها عن جاراتهن وصديقاتهن . فصديقتى فلانة تقول لى إنها ت صاحبها من النافذة ، وراسلته مع الخادمة ، وقابلته فى سينما ! وصديقتى علانة تروى لى أن صاحبها صديق أخيها ، ته فى غرفة الاستقبال ، وكلمته فى حديقة المنزل ، ثم واعدته حديقة الأسماك ! وصديقتى ترتانة تحكى لى أن صاحبها صاحب رة — والسيارة لو تعلمين فخ البنات — رآنى أول مرة وأنا ة وحدى إلى البيت ، فعز عليه أن أمشى ، وناشدنى الله أن ب ، فركبت وتعاهدنا على الوداد المحض فى طريق المحطة ! ت كل واحدة منهن تصف القبل الطاهرة ، والعناق البرىء ، ديث الغزِل ، والخلوة العفيفة ، والخروج المختلس ، والرجوع ، والعلل المكذوبة ، والمواعيد المضروبة ، بأسلوب يحرك كن ويظهر الباطن ويجرى الهَيوب ، وأنا أصغى إلى هذه ديث بحوامى الحس ، حتى إذا خلوت بنفسى ورقدت على رى استذكرت هذه الأحاديث ، واستحضرت تلك الصور ، ر بقلبى يذوب ، وبجسمى ينحل ، وبنفسى تساقط حسرات مجهول لا أعرفه ومطلوب لا أناله . وفى أكثر أيام الآحاد ت إحدى قريباتى تجىء إلى المدرسة فتستأذن لى فى الخروج مب بى إلى دور السينما فأرى أحاديث رفيقاتى وأمانىّ نفسى رة على الشاشة بالألوان الفاتنة والأوضاع المغوية ، فيماع دى كما يماع الثلج ، ويذوب صبرى كما يذوب الشمع ، وأتمنى لو لم تكن منى قريبتى ، أو كانت قريبتى فى سن رفيقتى ! ثم أستشعر الحزن الممض والهم المبرح كلما تذكرت أنى سأعود وحدى إلى الغرفة الموحشة والفراش القلق .

وأخيراً تركت حياة المدرسة وجو القاهرة ، إلى حياة العزبة وجو الريف . جئت هذه العزبة التى وصفتها لك من قبل وفى ذاكرتى أجناس من أحاديث الهوى ، وفى حقيبتى أكداس من قصص الحب . فاتخذت من قرية الحديقة محراباً لكيوبيد أؤدى فيه صلواتى ، وأتقرب إليه بنزواتى وصبواتى ، والروايات الماجنة تثير عواطفى ، والمجلات الخليعة تلهب مشاعرى ، والرغبات الجامحة تملأ فراغى ، وليس بجانبى أم ترشد ، ولا بين جوانبى عقيدة تهدى ؛ فأنا أعيش فى دنيا القصص أقاسم بطلاتها قطوف اللذة ، وأساقى أبطالها كؤوس الصبابة ، فإذا سئمت القراءة وأجمت الذكرى سليت همى برؤية حمامة تلاطف حمامة ، أو قط يسافد قطة ، أو فلاح يداعب فلاحة ، حتى ضاق وسعى بما أختزن من ذكريات أمسى ورغبات يومى ، فأردت أن أجد لى متنفساً بالكتابة ، ولكن الكتابة لم ترد علىّ ، لأنها منى وعنى وإلىّ . أريد أن أكون موضوعاً لمقالة أو حديثاً لرسالة أو عروساً لقصة ؛ ولا يمكن أن أكون شيئاً من ذلك إلا إذا عشقنى كاتب .

فالكاتب وحده هو الذى يستطيع أن يحب من بعيد ! يستطيع بفنه الخالق وخياله المبدع أن يعايش من يحب روحاً لروح ، فيقابله من غير لُقية ، ويحادثه من غير رؤية ، ويرسل إليه الكتاب فيكون هو اليوم الموعود واللقاء المنتظر والحديث المشتهى والأمل المرجو والوداع المتوقع ! ولقد اخترتك لتكون حبيبى النائى ، تصف منى ما وصفتُ من (حياة) و (ليلى) ، وتترجم عنى ما ترجمت عن (شرلوت) وجوليا . وليس فى منطق الحب أن أقول اخترتُ فتختار ، أو أردت فتريد . إن سلطان الحب طاغ لا يخضع لاختيار ولا يخشع لإرادة . وكيف يتسنى لنا أن نتحابّ ونحن لا نتراءى ؟ لو كنت أملك رؤيتك لأمكن أن يأسرك جمالى ، أو لو كنت أحسن الكتابة لجاز أن يسحرك خيالى . إنما هو الرجاء والحظ ، وهو القضاء والقدر .

هذه خلاصة أمينة لما قرأت من رسائلها فى هذا اليوم أسجله فى مذكراتى ، وما أسجل فيها إلا ما له أثر فى نفسى أو خطر فى حياتى .

أحمد حسن الزيات

مراجعــــات

فى فلسفة الوجود ، وفى الفاروق

للأستاذ عباس محمود العقاد

ظن الأستاذ نقولا الحداد أننا تهكمنا حين قلنا له ما فحواه : إنه محتاج إلى أن يراجع مصادره الفلسفية .

وسيرى الأستاذ الآن أننا نجد ولا نتهكم حين نقول له هذا ونقول له أكثر من هذا : إن مراجعته لمصادره العلمية ألزم وأعجل ، ولا سيما مصادره عن إينشتين الذى يلوح على الأستاذ الحداد أنه يريد أن يتكلم عنه فى مصر كما يتكلم الحواريون عن رسلهم المختارين .

فى شهر يونيو سنة ١٩٣٠ ألقى العلامة إينشتين فى جامعة نوتنجهام — بانجلترا — محاضرة علمية كان لها دوى كبير فى المعاهد العلمية والفلسفية ، لأنه ألم فيها إلى خاطرة جديدة يحاول أن يفسر بها اتصال القوى بين الأجسام بغير الوسائط المفروضة ، وتحدث عن جوهر الفضاء ، أو مادة الفضاء ، أو المادة الفضائية Space Substance ؛ لأن التجارب الكثيرة لم تثبت للأثير المزعوم وصفاً من الأوصاف لا ينطبق على الفضاء . فمن المحتمل على هذا التقدير أن يكون الفضاء جوهراً مادياً لا نحتاج معه إلى فرض الأثير .

ولم يكن إينشتين أول من قال إن الفضاء ليس بخلاء ؛ فإن الفلسفة القديمة التى يحاول الأستاذ الحداد أن يترفع عنها ، قد سبقت إلى القول بامتناع تصور الخلاء فى الوجود ، وقال معظم أساطينها بأن الفضاء لا يعنى العدم ولا يعنى الخلاء .

قلنا هذا للأستاذ الحداد فعاد يكتب فى الرسالة قائلا — بكل ثقة وكل اطمئنان — : إن إينشتين لما قال Space Substance عنى المكان المشغول بالمادة ولم يعن الفراغ المطلق . فمتى قلنا المكان عنينا مكاناً مملوءاً بالمادة .

والعجب أن يخطر للأستاذ الحداد — أو لغير الأستاذ الحداد — أن جامعة من الجامعات تدعو عالماً من أكبر علماء الأرض إلى المحاضرة فيها ليقول للناس أن المقصود بالمادة الفضائية هى المادة التى توجد فى المكان .

والعجب أن يخطر للأستاذ الحداد — أو لغيره — أن المعاهد العلمية تهتز لهذا النبأ وتوفد الرسل إلى إينشتين لتحصل على المزيد من شرح هذا الرأى الجديد .

ولكن الواقع أن المعاهد العلمية قد اهتزت لهذه المحاضرة ، أو لهذه النظرية ؛ لأنها فهمت منها شيئاً غير الذى فهمه الأستاذ الحداد : فهمت منها أن الفضاء نفسه مادة قد تغنى عن فرض وجود الأثير .

وليس أكثر من الكتب والرسائل التى خاضت فى هذا الموضوع ، ولكننا نكتفى منها برسالة مبسطة أصدرتها دار الطباعة التى يديرها « هالدمان جولياس » فى كانساس بالولايات المتحدة ؛ لأن السؤال فيها بسيط لا إبهام فيه ، والجواب كذلك على قدر السؤال .

سئل الدكتور لويس لونشتين Loewenstein تلميذ إينشتين وشارحه المعروف عما يعنيه أستاذه الكبير . فقال ما نصه بالانجليزية :

Einstein goes Further Than this. he claims That - Space which was in The earby Ages rgar-ded As Yoid ' And For which Mobern Physics Has Invented The Name Ether in Order to Help Explain Some of the Phenomena occurring in Space s now A Substanes

وترجمة هذه العبارة : « إن إينشتين يذهب إلى أبعد من هذا . ويزعم ... أن الفضاء الذى كان فى عصور متقدمة يعتبر خلاء ، واخترعوا له فى علم الطبيعة الحديث اسم الأثير للاستعانة به على تفسير بعض الظواهر الطبيعية التى تقع فى الفضاء ، هو الآن مادة ، أو جوهر .

ومضى الدكتور لوينشتين يقول إن مادة إينشتين الفضائية قد يتضح أن تكون من المادة ، وقد يتضح أن تكون من جوهر لن تدركه حواسنا وبروع من كل دليل مباشر فى المعامل ؛

will Neven Become Known to our Senses

أما الدكتور لونشتين هذا فهو الذى قدم إينشتين إلى معات وقاعات المحاضرات عند زيارته للولايات المتحدة فى ١٩٢١ . وهو على علمه بمباحث الضوء والكهرباء ، حجة شؤونها العملية ومستشار فنى معروف لشركات من أكبر كات الكهربائية ، وعلمه بهذه المسائل لا يقل عن علم ستاذ الحداد على أقل تقدير .

فليس قصارى الأمر أن الفضاء لا يوجد إلا إذا وجدت فيه المادة التى نعرفها . بل تقضى هذه الخاطرة بأن الفضاء نفسه مصدر تكوين المادة ، وأن جوهره قد يدق عن الحس وعن تجارب فى معامل العلماء .

والأستاذ الحداد يقول بأن الوقت عدم أو وهم من الأوهام . فله أن يضيع منه ما يشاء . أما نحن فلا نقول بأنه عدم بأنه وهم . ولهذا لن نضيع منه أكثر مما أضعناه فى إقناع ستاذ الحداد بأنه محتاج إلى التواضع بين يدى الفلسفة التى دها ، على هذا النحو من التفكير .

***

هذه مراجعة .

أما المراجعة — أو المراجعات الأخرى — فهى عن صفات وق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهى مما نتلقاه كثيراً فى الأيام من جانب الأساتذة ، ومن جانب التلاميذ والتلميذات وبودنا أن نجيبها جميعاً لولا أن السؤال عن المفردات اللغوية فيه الرجوع إلى المعجمات ، ولا تتسع له الصحف والمجلات يقرأها من يعرفون تلك المفردات ، أو يملكون الرجوع إلى المعجمات :

ولهذا نكتفى بالجواب عن المسائل الفكرية أو النفسية ، المسائل التى يسرنا من التلاميذ والتلميذات على الخصوص نبلوا على بحثها والنظر فى معانيها وتكوين الرأى فى دقائقها جمة والاستفسار .

سأل أستاذ فاضل عن أسلوب عمر فقال إن بعض العبارات نسبت إلى عمر قد تكون من قبيل العبارات التى تضاف إلى العظماء المشهورين ، وليست هى من أقوالهم على التحقيق .

ورأينا فى هذا أن ميزان التشكيك ينبغى أن يحمل بكفتيه ولا يحمل بكفة واحدة .

فإذا كان العظماء جميعاً سواء فى نسبة العبارات إليهم ، فهل اجتمع مثل هذه العبارات فيما نسب إلى الصديق ؟ هل اجتمع مثلها فيما نسب إلى الإمام ؟ وهل اجتمع مثلها فيما نسب إلى معاوية أو إلى عمرو بن العاص ؟

إن كان الأسلوب واحداً فيما نسب إلى جميع هؤلاء فالشك هنا معقول .

أما إن كانت العبارات المنسوبة إلى عمر كلها مما تنفرد به ، فهى صالحة للاستدلال بها على أسلوبه الخاص الذى لا يشركه فيه سواه ، وبخاصة حين تتواتر ذلك التواتر الذى أحصينا شواهده فى الكتاب .

***

وسأل الأستاذ الفاضل عن قصة الحيلة التى استعملها عمر مع أبى سفيان حين مد يده إلى خاتم فى يد أبى سفيان فأخذه منه وبعثه إلى زوجته ، وأمر الرسول أن يقول لها باسم زوجها : انظرى الخرجين اللذين جئت بهما فابعثيهما .

ويقول الأستاذ إنه يخالف الرواية ويرى أن عمر كان أولى أن يبهم العدد لأنه ربما يكون فى العدد الذى ذكره نقص أو زيادة .

ورأينا أنها رواية أمامنا ، وأن الجزم بنفيها هو « الادعاء » الذى يقوم على غير دليل لأن الجزم بالنفى هنا حكم باستحالة جميع الاحتمالات التى تقع فى الخاطر ، وليس شىء منها بمستحيل .

فمن المحتمل أن عمر كان يعرف عادات السروات من العرب فى رحلاتهم ، أو يعرف على التخصيص عادات أبى سفيان .

ومن المحتمل أن عمر استكثر ثلاثة أخرجة على رحلة واحدة ، واستقل خرجاً واحداً يعود به أبو معاوية من عنده وهو أمير على الشام ؛ فتوسط بين العددين .

ومن المحتمل أن عمر رأى ضرورة التحديد ؛ لأنه لو طلب كل ما جاء به أبو سفيان من أمتعة السفر لاسترابت زوجة

أبى سفيان وفطنت لما يراد . فجازف هذه المجازفة — بعد ذلك التقدير — وصحت مجازفته فخفقت ورويت ، ولو لم تصح لما سمعنا بها أو لسمعنا من شأنها غير ذلك .

ومن المحتمل أن عمر قد علم بنبأ الحرجين وكانت له عيون تترقب العائدين من الرحلات ، كما ذكرنا فى الكتاب .

فلماذا ندعى أن الذى حصل هو غير ما جاء فى الرواية ، وليس لدينا ما نمنع به احتمالا واحداً من جميع هذه الاحتمالات ؟

* * *

أما الأسئلة التى تلقيتها من التلاميذ والتلميذات ، فمنها سؤال من الآنسة « رسمية على خليل » بالمدرسة السنية تطلب فيه مثلا على فطنة الفاروق ، وهى صفة من صفاته التى وردت فى باب الصفات من الكتاب .

والفطنة إنما يستدل عليها بالكلام الذى ينم عن فهم الطبائع والأخلاق ، وفى كلام الفاروق الذى أوردناه ما يدل على فطنته لهذه الأمور .

أو يستدل عليها بالأعمال ، وقد دلت أعمال الفاروق على الفطنة فى كل ما تولاه من تسيير الجيوش وتدبير الفتوح وتنظيم البلدان وتوجيه النصائح إلى الولاة والقادة والقضاة ، وإنشاء الدواوين واستشارة ذوى الرأى من الشيوخ والشبان .

أو يستدل عليها بشهادة العارفين ، وقد شهد له بها أكبر دهاة العرب كالمغيرة وعمرو بن العاص .

وقد سألت الآنسة عن الفرق بين الرؤية والرؤيا والشعور على البعد ، وكلها مما يدل على الاهتمام بعالم الغيب ، أو أن الإنسان لا يقصر همه على الواقع المحسوس ، ومن هنا يكون على استعداد للتدين والإيمان ، ولهذا ذُكرت هذه الخصال ، أو هذه الملكات لبيان استعداد الفاروق بطبيعته لقبول الدين .

والرؤية هى أن يتراءى للانسان منظر أو صورة لا يراها غيره بحواسه المعهودة ؛ لأنها تتمثل فى النفس على نحو من ظهور الأشباح للنائم فى حلمه . وقد يراها المستعد للرؤية وهو فى حالة من حالات الغيبوبة . وقد تكون رمزية يفهم منها الرائى معنى من المعانى على طريقة الفهم من الرموز والكنايات . والفرق بين الرؤية والتلبائى أن التلبائى ينتقل بين شعورين على البعد ، وقد تظهر الرؤية لإنسان واحد ولا تكون لناظرها صورة خارجية يتلقاها الآخرون بحاسة النظر المعهود .

والاعتداد بالرؤيا هو اهتمام الإنسان بما يراه فى أحلامه ، وليس من دأب كل إنسان أن يهتم بهذه الأحلام أو يتخذ منها دليلا على حادث مخبوء له فى الغيب .

على أننى أرجو الآنسة معذرة إذا أحلتها على نفسها وهى تستوضح هذه العبارة : « كانت الرحمة من صفاته التى وازنت فيه العدل أحسن موازنة » ؛ فإنها تسأل عن معنى هذا مع تفصيل الكلام فيه عدة صفحات ، وعليها هى أن تجهد نفسها لتجيب سؤالها ، وهى قادرة على الإجابة بغير جهد كبير .

وأسألها وزميلاتها معذرة إذا أحلتها على علم أساتذتها وعلم المعجمات فى تفسير بعض المفردات ؛ فليست هى مما يخفى على الأساتذة أو يخفى عليها إذا رجعت إلى تفكيرها ، أو رجعت إلى معجم صغير مما يتيسر للطلاب فى معاهد التعليم .

عباس محمود العقاد

من أحاديث الإذاعة * :

تســـــعة قروش !

للأســـــتاذ على الطنطاوى

من أسبوعين ابتليت من أولادى ببلية ، هى أنى كلما دخلت .ار ، تعلقوا بى طالبين تمثال العبد الأسود ذى الطربوش الأحمر نا لا أدرى ما هذا التمثال ، ولا أعرف من أين آتيهم به ، وهم حون لا يشغلهم عنه شىء من غالى اللعب ، ونادر الطرف ، ن كرّهوا إلىّ البقاء فى البيت ...

وكنت مرة خارجاً إلى عملى مستعجلا ، فوجدت بياعاً مل هذه التماثيل ، ينادى « الواحد بقرش » ففرحت به فرح نال فى البادية يرى معالم الطريق ، واشتريت تمثالين وحملتهما زاً بهما كأنى أحمل كنزاً وعدت بهما حتى إذا دنوت من الدار ندت ولدين صغيرين قاعدين فى ظل جدار ، فلما أبصرا التمثالين نت عيناهما ، ودنا رأساهما فى همس ، وارتفعت يداهما فى إشارة ية متهيبة ، وشخص بصراهما كما يفعل شابان غريران طلعت بهما من الطريق فتاة فتانة . . وقاما فتبعانى وعيونهما معلقة ماثيل ، فلما رأيت ذلك منهما فكرت أن أدفعها إليهما . ـكنى خشيت أن أرجع فلا أرى البائع ، وتخيلت رغبة أولادى ا ، فلم تطب نفسى أن أحرمهم هذه المتعة ، ولم أستطع الإعراض ، الولدين الفقيرين فدعوتهما فدفعت إليهما قرشين ، وقلت لهما

— هو ذا البائع ، فالحقاه فاشتريا مثلهما ، الواحد بقرش !

فأخذا القرشين وهمهدى بمثلهما أن القرش الصاغ ثروة له . يناله إلا بشق النفس ، فما حفلا بهما ولا هشا لهما ، ولبثا خصين فى التمثالين كأنهما لم يريا القرشين ، ولم يسمعا الكلام كأن عقلهما فارقهما فاستقرا على ما فى يدى ، فلم يفهما كلامى ،اوات نسيانهما ، وسرت فتبعانى كأنهما كلبان وكنت أحس نظراتهما على ظهرى ، وبثقلها على روحى فأهم أن أمد يدى

(*) حديث سجل فى القاهرة وأذيع من محطة الشرق الأدنى. القدس فى الثالث والرابع من يناير سنة ١٩٤٨

باللعب إليهما ثم تدركنى محبة الولد فأكف ، حتى وصلت الدار وصورتهما أمام عينى ، تمنع عن عينى رؤية فرحة أولادى باللعب وغوايتهم إليها ...

ولما خرجت وجدت الولدين لا يزالان فى الطريق ، يفتشان عن البائع ، يعدوان هنا وهناك ، كأم أضاعت طفلها ولا تدرى أية سبيل سلك . فدعوتهما — فأفرخت روعهما — وسألتهما عن اسميهما فمشيا معى فما درت مع الطريق دورة حتى لقيت البياع أمامى ، فشريت لهما تمثالين وتركت لهما القرشين ، ووجدت حول البياع أولاداً مثلهما ، فقلت له :

— اعط كل ولد تمثالا

وكانوا تسعة فدفعت إليه تسعة قروش

***

هل تصدقون أو أحلف لكم ، أنى لما نظرت فى وجوه الأولاد وقد بدا فيها بهاء الفرح ، وما عرفت هذه الوجوه الفرح قط ، ولاحت عليها سمات الطفولة الراضية الشاكرة ، وما كان يلوح عليها إلا الألم والحقد المرير وأشرق عليها نور إلهى سطع من وراء ما حملت من الأوساخ والأقذار ، ولما رأيت عيون الأمهات الواقفات تدمع ، وألسنة الرجال الواقفين تدعو ، أحسست فى قلبى بفرحة لا تعدلها فرحة الجائع بالمائدة الملوكية المترعة ، ولا العبقرى بالقصة العبقرية الممتعة ، ولا المحب المدنف بلقاء الحبيب بعد طول الهجران ...

لا والله فتلك أفراح أرضية ، وهذه فرحة سماوية ، قد تعيش آلاف البشر وتموت ، ولا تحس مثلها . وشعرت كأنى كبرت فى عين نفسى ، وأنى سموت وأنى صرت أقوى وأقدر ، وأنى نلت الأمانى ومتعت بالخلود .

إننا ننفق أكثر الأموال ، نشترى أيسر المتع ، وهذى متعة ما يكاد يجد الإنسان مثلها ، نلتها بتسعة قروش ، وما تسعة قروش بالنسبة لى؟ إنها شىء كالعدم ؛ شىء لا يغنينى وجوده ، ولا يفقرنى فقده ، فهل تحبون أن تشتروا مثل هذه المتعة ؟ هل تحبون أن تعرفوا ما هى لذة الروح ، وما هى راحة القلب ؟ هل تريدون أن تذوقوا نعيم الجنة وأنتم فى الدنيا ؟

لا تحسبوا أنى أصف كلاماً . وأرصف ألفاظاً ، إنى والله أسوق لكم حقائق . فإن أردتم معرفتها ، ففتشوا حولكم من

هذه الطفولة المحرومة وهذه النفوس المذبة ، ثم أولوها الإحسان وليست قيمة الإحسان بكثرة المال ، إن المال ينفع الفقير ولكنه لا ينزع من قلبه النقمة على الحياة ، ولا يستل منها بغض الأغنياء ولا يملؤها بالحب . إن الذي يفعل هذا كله هو العطف ، وأن تشعر الفقير بأنه مثلك ، وأن تعيد إليه كرامته وعزة نفسه . ورب تحية صادقة تلقيها على سائل تكون أحب إليه من درهم ، ودرهم تعطيه فقيراً وأنت تصافحه يكون آثر عنده من دينار تدفعه إليه متكبراً مترفعا ، يدك تمتد إليه بالمال ، ووجهك يجرعه كأس الإذلال ...

إن كل غني يستطيع أن يتصدق بالكثير ؛ ولكن غنى القلب بالإنسانية والنبل والحب ، هو وحده الذي يستطيع أن يتصدق ، مع المال ، بالعاطفة المنعشة ... فلا تضنوا على الفقراء بإنسانيتكم ، ولا تبخلوا عليهم بعطاء قلوبكم ، وذكروهم أنهم لا يزالون معدودين من البشر ، وأنهم مثلكم لأب واحد ولأم ، لآدم وحواء ، وأنهم لم ينحدروا إلى دركة الدواب والبهائم .

ذكروهم بهذه الحقيقة التي طالما نسيتموها أنتم ، ونسوها هم أنفسهم . ولم لا ينسونها وهم يعيشون كما تعيش البهائم : ينامون مثلها على الأقذار ، في الأكواخ والحقول ، وفي الأزقة المعتمة ، وفي الخرائب المهجورة ، ويأكلون مثلها من فضلات الناس ، ويشربون مثلها من البرك الآسنة ، والأنهار العكرة ، ولم ينالوا تعليماً يرفعهم عنها ولا مدنية تميزهم منها ؛ يسهرون في عصر الكهرباء على السرج والقناديل ، ويركبون في عهد الطيران على العربات التي تجرها الحمير ، ويسكنون في الأكواخ على التراب في زمان ناطحات السحاب ؛ ومن تشبه منهم بالناس المتحضرين ، لم يكد يصل إلى مثل حضارة الإنسانية الأولى ، يحلق مثل (الناس) ولكنه يقعد على الأرض ، على رصيف الشارع ، وبيده مرآة مكسورة يرى فيها وجهه ، والصابون القذر يغطيه ، وموسى الحلاق المفلولة تجرى فيه ، والدم ينبثق من نواحيه ، ثم تمر على هذا الوجه البشرى ممسحة لا ترضونها أنتم والله لمسح أحذيتكم . ويركبون مثلما يركب الناس ، ولكن على عربات الكارو ، المشرة على متر مربع من الخشب ، محمول على دولابين من الحديد يسحبه حيوان هزيل ، والعربة ترتج بهم ، فترقص معدهم ، وتزلزل أمعاءهم ، ثم لا تصل بهم إلى نهاية الميل الواحد إلا بعد ساعة . ولهم قهوات ، ولكن قهواتهم اصطبلات فيها ركائز تسمى مناضد أمامها عيدان تدعى كراسي . ولهم مطاعم ولكن مطاعمهم يقدم فيها المرض في طباق قذرة ...

فتداركوهم قبل أن يكفروا بالإنسان ، فينقلبوا حرباً عليه ليس معها أمان . أشعروهم أنه لا يزال في الدنيا فضل وعدل ونبل . ليجد كل واحد منكم على من هو دونه لا بالمال وحده ، بل بالعاطفة والتواضع والإنسانية ... الرئيس على المرؤوس ، والوزير على الوكيل ، والوكيل على المدير ، والضابط على العريف ، والعريف على الجندي ، فإن كل واحد من هؤلاء هو اليوم عبد لمن هو أعلى منه ، وفرعون على من هو دونه ، يتكبر عليه من هو فوقه ، ويتكبر هو على من تحته ، حتى إن الشرطي ليطغى على البائع المتجول ، والبائع يطغى على امرأته ، والمرأة على ولدها ، والولد على القطة يضربها بالعصا أو الكلب يرميه بالحجر ، كل يحاول أن يظلم كما ظُلم . والمجرم الأكبر هو الظالم الأول . إنهم كالحيوانات تماماً ، الجرادة تأكل البعوض ، والعصفور يأكل الجرادة ، والحية تقتل العصفور ، والقنفذ يقتل الحية ، والثعلب يسطو على القنفذ ، والذئب يسطو على الثعلب ، والأسد يفترس الذئب ، والإنسان يقتل الأسد ، والبعوضة تقتل الإنسان ، فتنغلق الحلقة على عدوان بعد عدوان ...

كم تلقون كل يوم ممن هم دونكم فلا تتنازلون بالالتفات إليهم ، ولا تفكرون فيهم ، ولا تشعرون بوجودهم ، ثم تتألمون إذا أعرض عنكم من هو فوقكم ، وتجاهل مكانكم ، وترون ذلك جرحاً لشعوركم وكسراً لقلوبكم ، فلماذا تطلبون ممن فوقكم ما لا تعطونه من هم دونكم ؟ أليس لهؤلاء نفوس تحس ، وقلوب تتألم ؟

درت أمس بشحاذة على شط النيل المنير ، في الروضة ، وأمامها بنت لها تحبو ، وصلت إلى كومة أوساخ فنبشت فيها حتى وجدت بقية لعبة فحملتها فرحة بها وعادت إلى أمها مستبشرة فأخذتها منها ومسحتها وحاولت أن تصلحها وتعيد الحياة إليها وقد فارقتها الحياة منذ أزمان ...

فلويت وجهي ألماً من منظر هذه القذارة ، ثم عدت ألوم

سي وأسائلها ، ما ذنب هـذه الأم إذا أحبت بنتها وأرادت سعادها ؟ وما ذنب هذه البنت إذا طلبت حق الطفولة الطبيعي معب ؟

لماذا أشترى لبناتى كل أسبوع لعبة ، ولم يخطر على بالى أبداً ، فى البلد أطفالا لا يجدون لعباً . إننا نحسب أننا إذا أطعمنا نفال الفقراء الخبز ، فقد أدينا حق الله وحق المروءة والإنسانية ينا . ولـكن الطفل لا يكفيه الخبز ولا يرضيه ، يرى أطفال ناس يمرون به كل ساعة ، وعليهم أبهى الثياب ، ومعهم أغلى ب ، إنه بين أمرين إما أن يتبلد حسه ، وتموت نفسه ، فلا مع أن يجارى هؤلاء ولا يأمل أن يكون مثلهم أبداً فينشـأ ميف الهمة ، ذليلا مهيناً ، فيكون من أسباب ضعف هـذه ـمة وهوانها على الأمم ، وإما أن يثور ويغضب ويمتلىء قلبـه صغير حقداً ، ثم يكبر ويكبر الحقد معه حتى يكون عدواً للمجتمع نقمة على الناس ، يظلمهم كما ظلموه ، يسرق من يستطيع سرقة له . ويزهق روح من يتمكن من إزهاق روحه ، وينشر الفساد الأرض ...

فلماذا نجعل من هؤلاء الأطفال أعداء لنا ؟ لماذا لا نحبهم ملهم الحب؟ أليسوا أزهاراً فى روض الحياة ؟ أليست كل زهرة نوة ولو تلطخت بالوحل ؟ أليس كل صغير جميلا ولو كان قطاً كلباً ؟ أفنحب القطة الصغيرة ونمسحها ونضمها على الأحضان ـكره هؤلاء الأطفال ؟ ومالهم ؟ ألأنهم قذرو الوجوه والثياب ؟

إن القـذارة لا تحب ، ولـكن أهذا ذنب أمهاتهم ، لا يغسلن وجوههم ومن على النيل ؟ لا ، بل هو ذنبي وذنب كل واحد منكم وذنب الكتاب وأولى الأمر ، إنهم لم يعلموا هؤلاء الأمهات النظافة ، ولم يقل لهن أحد إن النظافة لازمة والوساخة مؤذية . ومن يقول لهن ، وهن شحادات على الطرقات ، لا يكلمن أحداً بغير السؤال ، ولا يكلمهن أحد أبداً ؟ !

وما يدريني أن ابنتي أو ابنـة أحدكم ، لا سمح الله ، ستلاقى مثل هذا المصير ؟ من منا أخذ على الدهر عهداً أن لا يزيل عنه نعمة ؟ هل أمنا المرض والفقر ؟ هل وقفنا حركة الفلك ؟

وهل نسينا أن فى الوجود إلهاً ، وأن بعد الدنيا آخرة ؟ فـكيف سوغنا لأنفسنا مع هذا كله إهمال هـذه (الإنسانية) الصغيرة البرأة الطاهرة ؟ لقد كان فينا مقلدون متحذلقون ألفوا جمعيات للرفق بالحيوان ... ولـكن لم ينشأ فينا إلى اليوم من يؤلف جمعية للرفق بالإنسان ؟ لقد بلغ الخزى من نفوسنا أن كان فينا أناس يطعمون الكلاب المدللة ، اللحم السمين والشكولاتة الغالية ، وحولهم بشر لا يأكلون اللحم مرة فى الشهر ؛ ولم يتذوقوا الشكولاتة أبداً ...

* * *

إذا شئتم أن تذوقوا أجمل لذائذ الدنيا ، وأحلى أفراح القلوب ، فجودوا بالحب وبالعواطف كما تجودون بالمال ...

دمشق (صندوق البريد ١٩) **على الطنطاوى**

مجمع فـــؤاد الأول

بين الأمس واليـــوم

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى

مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حسنة من حسنات محيى النهضة العلمية والفنية، ومجدد شباب اللغة العربية، المغفور له الملك فؤاد، له من الله الرحمة والرضوان، وهو أثر من آثار أياديه الكريمة، ومأثرة من مآثره العظمى التى أسداها إلى اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، ومفتاح أسراره، ومشرق هدايته، ومطلع أنواره.

أراد رحمه الله بإنشاء مجمع اللغة العربية المحافظة على سلامة هذه اللغة الكريمة، وأن يكون المجمع مثابة للعروبة تتجدد فيه عناصرها وتتوثق أواصرها، وأن يكون أمنا للغة الذكر الحكيم يجمع شتاتها ويحيى مواتها ويحميها من عبث العابثين، وجور المعتدين؛ ويدفع عنها طغيان العجمة ويرد عنها وثبات العامية، حتى لا تستهلكها أشتات اللهجات، ولا تذهب بفصاحتها وصباحتها الندوب والآفات، فندب إلى هذا الغرض السامى النبيل، واختار لهذا المهم الجليل، كل عالم ندب من علماء اللسان، وفرسان اللغة والبيان ممن أنجبتهم معاهد العلم: الأزهر ودار العلوم وجامع الزيتونة، ومن أنبغتهم المدارس الإسلامية ومدارس اللغات الشرقية فى بلاد المشرق والمغرب.

ولقد بذل هؤلاء الأفاضل الأعلام جهداً مذكوراً، وسعوا إلى تحقيق الغرض الذى ندبوا له سعياً مشكوراً. وجعلوا منذ اللحظة الأولى يمهدون السبيل، ويقيمون فيه لمن يريد أن يسلكه المنار والدليل، حتى لا يخبط فى مسيره خبط العشواء، ولا يهيم فى أودية الأوهام؛ فوسموا من القواعد وأقروا أموراً تكفل مراعاتها سلامة اللغة وتحقق لها النماء والزيادة، وتيسر على أهل العلم التصرف فى مفرداتها حتى تستغنى بما تنسله من لفظ أصيل كريم عما يراد إلصاقه بها من كل لفظ دعى زنيم.

وقد أشار رئيس المجمع المغفور له الدكتور محمد توفيق رفعت باشا فى كلمته التى ألقاها فى افتتاح دور الانعقاد الثالث سنة ١٩٣٧ إلى الطريقة المثلى، وأومأ إلى بعض القرارات التى اتخذها المجمع فى دور انعقاده الثانى للوصول إلى تحقيق الغرض المقصود من إنشاء المجمع، وأبان فى تلك الكلمة المنشورة فى الجزء الثالث من مجلة المجمع طبع سنة ١٩٣٧ — خطأ الذين يؤثرون الأعجمى الشائع على مالم يتداول فى الاستعمال من فصيح اللفظ العربى، وفند هذا الرأى القائل إذ يقول: وليس يذهب عنا فى هذا المقام أن ننبه هؤلاء إلى أن لغتنا قد تخلفت دهراً طويلا عن مواتاة العلوم ومسايرة كثير من أسباب الحضارة. فلو أننا آثرنا الأعجمى الدائر فى كل ما يعرض لنا من هذا لأصبح الفصيح بين لغتنا أقل من القلة ولاستهلكته العجمة استهلاكا بحيث لا يصح لنا وقتئذ أن نزعم أننا نتحدث بلسان العرب، وذلك هو البلاء العظيم...

ومما ينبغى ألا يسقط من الحساب أنه لو ساغ لكل أمة أن تعدل عن اتخاذ الفصيح من لغتها لمثل تلكم الأسباب إلى الشائع على ألسنة أبنائها من المحرف والدخيل لاختلفت لغات الأمم العربية وما اجتمعت على هذه اللغة الكريمة، وهذا فى الوقت الذى يدعو فيه المصلحون الصادقون إلى توحيد الثقافة فى العالم العربى بأسره بحيث إذا استقلت كل أمة بأرض وطنها فإن العربية تظل لها جميعها الوطن العام على تطاول الأزمان.

وفى كلمة العلامة المستشرق (الأستاذ جب) عضو المجمع — وصف للعلاج الناجع الذى يتوقف عليه نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى حيث يقول. وإن تجاربنا فى سنتى الطفولة (يقصد تجارب المجمع فى السنتين اللتين مرتا عليه منذ أنشىء) — قد برهنت على أن نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى يتوقف على استعدادنا لسلوك طريق طويل المدى دارس المعالم — طريق الاكتشاف والتوسع وهو طريق لا يسلك إلا بشىء من الجرأة، ولا يسلم من الضلالة فيه إلا من استمد له بكامل العدد.

ويقول: ولن يتحقق صعوبة وظيفة المجمع فى القرن بين تيار الجديد وتراث القديم إلا من جربها، فويل للغة مصادرها

ومعجماتها دون الشعور الحي للناطقين بها . وويل أيضاً للغة ينطق ويكتب الناطقون بها طوع أهوائهم ويضربون بمعجماتها عرض الأفق .

فإذا كانت التجارب قد دلت على أن نجاح المجمع في تأدية وظيفته نحو العالم العربي متوقف (كما يقول الأستاذ جب) على الاستعداد بكامل العدد لسلوك طريق الاكتشاف والتوسع في اللغة حتى يأمن سالكو هذا الطريق من التردي والضلالة فيه ، وإذا كان من أهم هذه العدد العلم بقواعد اللغة نحوها وتصريف كلماتها ومعرفة أحوال تراكيبها وتذوق أساليبها ومعاني النظم فيها ، والإحساس بما بين نظم ونظم من فرق وتفاوت في الحسن والجمال والصحة والاعتلال — فهل فكر أولئك الكرام البررة الذين عناهم أمر هذه اللغة الكريمة في إعداد الوسائل التي تكفل حياتها وإن تبقى سليمة نامية ، وهل أخذوا لهذا الأمر أهبته ، وأعدوا له عدته ؟

لقد أنبأنا الأستاذ الجليل محمد كرد علي بك في كلمته التي ألقاها في افتتاح إنعقاد المجمع في ذلك الدور أن مجمع اللغة العربية يسير في أوضاعه على النهج الذي سنه الملك الأعظم (المغفور له) الملك فؤاد ، وأنه (أعلى الله في الجنة منزلته) تفضل فأطلع عليه الأستاذ حين شرفه بالمثول بين يديه من نحو عشر سنين خلت قبل إنشائه مجمع اللغة . والمتتبع لسير النهضة العلمية في ذلك الوقت يجد أن ذلك التاريخ يوافق الوقت الذي كان فيه جلالة الملك الراحل يفكر في التوحيد بين المعاهد التي تقوم بتعليم اللغة العربية والشريعة الإسلامية في مصر ليكون من هذه المعاهد مجموعة مؤتلفة موحدة النظام والغاية مندمجة في الأزهر ، يتخرج منها الفقهاء المشرعون والعلماء الراسخون في علوم الشريعة واللغة ليجددوا ما اخلولق من آثارهما ويحيوا ما عفا من رسومهما وليكون من هؤلاء العلماء المختصين باللغة والشريعة مدد يغذي مجمع اللغة العربية وما ينشأ على غراره من مجامع الفقه والتشريع الإسلامي لا الروماني والفرنسي ، وفي سبيل تحقيق هذا الغرض الجليل ألغيت مدرسة القضاء الشرعي وبدئ في إلغاء دار العلوم ، واستبدل بهما نظام الكليات وأقسام التخصص في الأزهر . فترى أن مجمع فؤاد كان جزءا متمما لذلك المشروع الجليل الذي اختط فؤاد العظيم خطته وأراد منه إحياء اللغة العربية لغة القرآن الفصحى وأن يبعث الاجتهاد في الفقه الإسلامي من مرقده لتتوثق باللغة روابط الوحدة بين الشعوب العربية ، وتسهل مشارع الشريعة فيتيسر ورودها ، ويصفو وردها لجميع الأمم الإسلامية.

ذلكم هو المشروع الذي ابتكره فؤاد الملك العظيم ، وأبرزته عزيمته القوية الجبارة من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ، لإحياء اللغة العربية والشريعة الاسلامية معا ؛ فماذا كان حظ هذه المؤسسات العلمية والمالية من الحياة ، وماذا كان نصيبها من البقاء ؟

فأما أقسام التخصص فقد غلقت أبوابها ، إذ لم يقصدها للعلم بل لأكل العيش طلابها . وأما كليات الأزهر فقد أمست مسارح شحناء ، ومسايح دماء ، يسعى طلابها بالفساد ليجعلوها مثل دار العلوم مدرسة لتخريج معلمين ، لا لتكوين رجال عالمين !

ومجمع فؤاد اللغوي وقد عرفت مكانه من المشروع العظيم هل تراه اليوم على العهد الذي كان عليه بالأمس مجمع فؤاد للغة العربية ، وهل نحسبه آخذاً بإخذه ، أو متبعاً سننه الذي سنه له منشئه ، أو سائراً على النهج الذي قرر رجال مجمع اللغة العربية بالأمس أنه هو النهج الأقوم الموصل إلى الغاية المنشودة من إنشاء المجمع ؟

إن الذين سمعوا كلمة معالي وزير المعارف التي ألقاها في مؤتمر المجمع في دور انعقاده الحاضر في أولى جلساته في الشهر المنصرم ، يرون فيها خروجاً على إجماع المجمع بالأمس ، وإهداراً للقواعد السليمة التي أقرها ، وتوجيها للمجمع في غير الوجهة التي أنشئ من أجلها ، وجوازاً به عن سواء السبيل الذي يقول العلماء الخبيرون إنه يجب على من يريد للغة العربية الحياة والبقاء والبركة والنماء أن يسلكه .

فمعالي الوزير يدعو المجمع دعوة صريحة بل إنه ليأمره بألا يقف في طريقه إلى تحقيق مهمته عند اللغة الرسمية (اللغة العربية الصحيحة) وأن يتجاوزها إلى اللغة الواقعية البعيدة عن صحيح اللغة (وهي اللغة العامية) وأن يتقبل كل كلمة ترد إليه هجينة

أو أعجمية ؛ ولئن كانت كلمة المجمع بالأمس على أن العدول من اتخاذ الفصيح من اللغة إلى الشائع على الألسنة من المحرف والدخيل يستهلك الفصيح من اللغة ، ويؤدى إلى اختلاف لغات الأمم العربية وتفرقها عن لغتها الكريمة — فإن كلمة وزير المعارف اليوم على النقيض من كلمة المجمع بالأمس ؛ فعاليه يفتح الباب على مصراعيه للمحرف والدخيل ، ويطلب إلى المجمع أن يسجل على لغة العرب كل مايرد عليه من الكلمات المحرفة ، وأن يحمل عليها كل مايصل إليه على ألسنة العامة من الألفاظ الأعجمية والدخيلة ؛ فقد أصبحت مهمة المجمع إذن سهلة يسيرة وأمسى عمل المجمع فى نظر معالى الوزير هو الإثبات والتسجيل ، وليس له فى الإبتداع أو الخلق والتقدير .

لقد هانت إذن مهمة المجمع ، وتبخرت فى الهواء تجارب المجربين ، وضرب بعرض الأفق كلام الخبراء العالمين ، وأمنا ما خوفنا الأستاذ جب من ضلالة الطريق ووعورته ، فما بنا بعد اليوم من حاجة فى سلوكه إلى استعداد له بعدة أو اتخاذ دليل أو اصطحاب رفيق . يقول معالى الوزير : إن باب الاجتهاد فى اللغة العربية مفتوح فملا فهو ليس منتظراً أحداً حتى يفتحه .

فليت شعرى من هم هؤلاء المجتهدون الذين يقول معاليه إن باب الاجتهاد قد فتح فملا لهم ؟ أهم أولئك العلماء الذين استعدوا بكامل العدد ليأمنوا من الضلالة فى طريق الاكتشاف والتوسع فى اللغة ، وأولئك الكتاب والناطقون باللغة ، الذين يلتزمون قوانين اللغة وقواعدها ويرجعون إلى معجماتها فيما يكتبون وينطقون كما يشترط الأستاذ جب ؟ أم هم هؤلاء الذين ينطقون ويكتبون طوع أهوائهم ولا يستطيعون تقديم ألسنتهم ، والذين أنذر الأستاذ اللغة شرهم وتوعدها بالهلاك والويل منهم ؟

يقول معالى الوزير إننا لا نستطيع أن ننكر على أى جيل حقه فى أن يساهم فى صنع لغته وفى أن يبتدع من الألفاظ ما يفى حاجته ويتمشى مع حضارته

فالمجتهدون فى اللغة إذاً فى عرف وزير المعارف — هم أولئك الذين يتقبلون كل مايفد عليهم من دخيل اللفظ ، وتلوك ألسنتهم كل ما يسهل عليها من عابر القول من غير معيار ولا قاعدة .

هؤلاء هم المجتهدون فى اللغة العارفون ، وهؤلاء هم صنعة اللغة الحاذقون ، ومبتكرو ألفاظها ونظمها والمبتدعون ، وما يصدر عن هؤلاء من عابر القول ، وما يتقبلونه مما يفد عليهم من منثور الألفاظ الأعجمية فهو اللغة الفصحى التى اجتمعت عليها الأمة ، والتى يجب على المجمع القائم أن يرصدها فى سجلاته ويسجلها فى اجتماعاته لحساب اللغة الجديدة الاقليمية ، التى يراد إحلالها محل اللغة العربية ، وتسجيتها ببردها وتسميتها باسمها .

لقد اتضحت إذاً مهمة المجمع وعرف أن مهمته المطلوبة منه فى عهده الجديد هى أن يسجل فى دفاتره ما يرد إليه من بضاعة مزجاة من الألفاظ الأعجمية ، ويضيفها لحساب اللغة الجديدة الإقليمية الدهماوية التى يراد بها إبعاد الأمة المصرية وإبعاد العرب عن لغتهم العربية التى هى رباط وحدتهم ، ومنتدى جماعتهم .

ومهمة أخرى على المجمع أن يقوم بها ، وهى كما وصفها معالى الوزير مهمة شاقة عسيرة ، تلك المهمة هى أن ينصب المجمع للمولود الجديد الأنساب ويتلمس له العلل والأسباب التى تصله بأسباب الوجود ، وتكفل (لا قدر الله) له الحياة والخلود .

منذ أمد غير بعيد نشرت جريدة الأهرام نبذة لمراسلها الخاص بلندن اقتبسها من الفصل الافتتاحى الذى عقدته جريدة المانشستر جارديان عن إصلاح النحو فى مصر ، تضمنت هذه النبذة أن أدباء مصر يتوفرون على إصلاح النحو العربى . وقالت (بلغة المستعمرين الذين يسمون الأشياء بأسماء أضدادها فيسمون الإفساد إصلاحاً واستعباد الأمم حرية) ! قالت : إن هذا الإصلاح قد يكون بين ضروب الرق العديدة (التى تمت منذ ولى الملك فاروق العرش) — أبعدها أثراً على الإطلاق . وقالت : إن من الموانع العظيمة لنشر العلم ومن ثم لتحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية مما جعل ملايين من الناطقين بالضاد لا يستطيعون فهم اللغة الفصحى فضلا عن قراءتها وكتابتها .

فاللغة العربية فى نظر المانشستر جارديان ، ومن ينفخ فى بوقها من دعاة الاستعمار هى سبب انحطاط العرب وتأخرهم فى العلم وفى التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى . وهذا الذى تذيعه

الأسس التي وضعها الاسلام لعقوبة القتـــل

لصاحب العزة الأستاذ على بك حلمى
مدير البحـيرة

بينا فى مقالنا السابق أن التشريعات القديمة كانت تميل تارة إلى جانب التشديد فى العقوبة وتارة أخرى إلى جانب التراخى فيها — واستشهدنا ببعض أقوال من الإنجيل والتوراة تفهم منها أن الأول يطلب العفو من ولى الدم وفيه تفريط فى حق المجنى عليه ، وإفراط فى أمر الجانى (١) إلى أن نزل القرآن فسلك الإسلام الطريق الوسطى بين جانبى الإفراط والتفريط فى المعاملات والعقائد والعبادات — قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس)

كما أصبح للدين الإسلامى أسس موضوعة جنبت عقوبة القتل فى جميع أحوالها جانبى الإسراف والتقصير — وهذه الأسس أربعة .

القصاص : (١)

فرض الإسلام بهذا المبدأ عقوبة القتل جزاء لجريمة القتل وأباح به دم الجانى — وفى ذلك نزلت آيات القصاص ، وقد ذكرنا بمضها فى موضوع سابق . ومعنى هذا أن الإسلام لا يجيز التراخى فى شأن الجانى ولا يسمح بوقوع هذه الجريمة دون أن يقتص من فاعلها بالقتل — فسد بذلك نقصاً ملحوظاً فى شريعة الإنجيل على فهم كثير من الناس .

حق القصاص والعفو لولى الدم :

وكما أن ديننا حد من جانب التفريط كما دعا إليه الإنجيل — كذلك خفف من إفراط التوراة بشأن الجنى عليه ولم يحتم عقوبة القتل لهذه الجريمة خير ولى الدم بين القصاص والعفو وزن له الأخير قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال بعض الفقهاء (العفو أفضل من الصلح والصلح أفضل من القصاص)

وهنا لم يقل الإسلام بالقصاص دون رحمة ولا شفقة بل شرعه مع خيار العفو وإجازة الصلح وأباح أن يكون العفو ببدل أو بغير بدل كما حبب الإسلام العفو إلى النفوس ، وبذلك اتخذ طريقاً وسطاً فتحاشى قسوة التوراة التى تحتم القصاص وتراخى الإنجيل الذى يحتم العفو .

حق ولى الدم :

أ — فى القصاص — جريمة القتل اعتداء على نفس المجنى عليه وسلب لوجوده وامتهان لجماعته الذين يعتزون بحياته ويتأثرون بنشاطه ؛ فإذا افتقدوا وجوده وكيانه وحرموا من عونه ونشاطه كانت هذه الجريمة من بعض نواحيها واقعة على ولى الدم؛ وطبيعى أن أول المسارعين إلى رفع هذا الذل والامتهان والأخذ بالثأر لقتيلهم هم عصبته الذين رزئوا بوفاته وأصيبوا فى مقتله .

(١) فقه القرآن والسنة للأستاذ محمود شلتوت .

(١) القصاص للأستاذ محمود شلتوت

هذه الجريدة وغيرها من جرائد الاستعمار هو ما يتقوله عداة اللغة العربية ودعاة المنصرية فى مصر على هذه اللغة الكريمة من المثالب والأكاذيب ليكرهوها إلى أهلها فهم يقبحون منها كل ماحسن، حتى ليودون أن يستبدلوا بحروفها الرشيقة الجميلة حروفاً أعجوبة لاتينية ليقيموا بذلك حداً منيعاً يحولون به بين الأجيال المقبلة من أبناء الأمم الاسلامية وبين تراث أسلافهم العلمى ، وليقطعوا الصلة بينهم وبين كتاب الله الكريم فلا يهتدوا بنوره ولا يقتدوا بهداه .

فهل ماينادى به معالى وزير المعارف فى دار المجمع ومايدعو إليه من تجاوز اللغة العربية إلى اللغة الاقليمية العامية ، وما يردده دعاة السوء من وجوب أقلمة اللغة وتمصيرها ، وتبسيط قواعدها وتلتين حروفها هو الذى تمنيه جريدة المانشستر من إصلاح النحو فى مصر ؟

وهل هذا هو الغرض من إنشاء مجمع فؤاد للغة العربية ؟

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

محمود أحمد الغمراوى
من علماء الأزهر
شيخ معهدى دسوق والزقازيق سابقاً

ولما كان فى جريمة القتل أيضاً إخلال بالأمن العام وإفساد لراحة الجماعة وإزعاج لطمأنينتهم أعطى الشرع الإسلامى حق القصاص لولى الدم كما أعطاه للجماعة فى شخص الحاكم إذا كان الجانى مسرفاً فى الإجرام معروفاً بالشر ووجب بتره من المجتمع

وكما أن لولى الدم حق القصاص فقد جعل له حق العفو أيضاً لأن فى ذلك اطمئناناً للنفوس وتطهيرا لها من الأحقاد والضغائن، فليس أحب إلى الإنسان من العفو عند المقدرة — ولم يجعل الإسلام لولى الأمر حق العفو إذا ما تمسك ولى الدم بالقصاص وذلك تجنباً لوقوع الفتن والاضطراب وخشية الإسراف فى الأخذ بالثأر وإفلات زمام الأمر من الحاكم .

أما إذا اختار ولى الدم العفو فخياره نافذ — ما لم يتمسك ولى الأمر بعقوبة الجانى تعزيراً فى حالة ما إذا كان معروفاً بشدة إجرامه وظهر للحاكم أن عقابه ضرورى لحفظ الجماعة واستتباب الأمن — وقد احتضن هذه الفكرة القانون الوضعى الحديث وتوسع فيها إلى أن سلب من المجنى عليه حق القصاص والعفو وقصرهما عليه كما سيأتى .

المساواة فى العقوبة :

— كان نظام الطبقات معروفاً عند الرومان فجاء الإسلام ومحا هذه الفروق وسوى بين النفوس وجعل الدماء متكافئة والجراحات متناسبة فى القصاص . روى عن عائشة رضى الله عنها قالت — كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع ولا ترجعه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد وكلموه فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيها فقال له: « يا أسامة ألا أراك تشفع فى حد من حدود الله . ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف قطعوه والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » وقطع يد المخزومية .

من هذا ترى أن الإسلام قد سوى بين أفراد الرعية من جهة ، وبين الرعية والحاكم من جهة أخرى فى القصاص والحدود (١) وجاء فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد — كلكم لآدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم — ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى)

المسئولية الفردية :

قلنا إن العرب جرت فى الزمان الغابر على الإسراف فى الثأر دون توخى مقدار العدل الذى يوجب الوقوف عند حد القصاص الصحيح — وكان فى أغلب الأحيان يأخذون غير القاتل بالقاتل والجماعة بالواحد والرجل بالمرأة والحر بالعبد — بل كانوا فى بعض آخر يأخذون الإنسان بالحيوان إلى أن جاء الإسلام فقرر أن مسئولية الجانى لا يتحملها إلا الجانى — قال تعالى : (ولا تزروا وازرة وزر أخرى) ومنع مسئولية الجماعة عن جناية الواحد كما قرر أن العقوبة من جنس الجناية وبقدرها فلا تضاعف الجراحات ولا الديات(١) قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها . وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)

القتل فى القانون الوضعى الحديث :

قلنا أن الإسلام منح القصاص والعفو لولى الدم كما أجاز لولى الأمر القصاص إذا عفا ولى الدم فى حالة ما إذا كان القاتل يميل إلى الإجرام وتحتم إصلاح شأنه لصلاح حال الجماعة — وقلنا أن القانون الوضعى احتضن هذا المبدأ الأخير ثم توسع فيه إلى حد أن جعل من حق القصاص والعفو حقاً آخر ثابتاً للمجتمع واعتبر أن جرائم الأفراد جرائم عامة ، وأن المجنى عليه فى جريمة القتل هو المجتمع ، ومنح لشخص ولى الأمر حق القصاص والعفو دون مراعاة إلى حق ولى الدم فيها ، أى بمعنى أنه إذا وصل إلى علم الحاكم وقوع جريمة على فرد من الأفراد سواء بتبليغ المجنى عليه أو أى شخص آخر نهض حق المجتمع ينادى بالقصاص من الجانى أو العفو عنه حسب ما يتراءى لولى الأمر لصيانة الصالح العام وعلى هذا الأساس تقررت العقوبات لمختلف أنواع جرائم القتل

على حلمى

(١) نهاية المحتاج ج ٧

(١) المنتقى ج ٧

٣ - الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

كان من البيّن – كما رأيت قبلُ – أن يهود الحجاز قد شبوا فى الجاهلية نار العداوة بين بنى أم واحدة وأب واحد، يسكنون بلدة واحدة، وهم الأوس والخزرج، فتمادت الحرب بين الأخوين أحقاباً من زمن الجاهلية حتى كادوا يتفانون فى يوم «بُعاث» الذى كان قبل هجرة نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بست سنين. وكان الذى كان بين هذين الأخوين أمراً جللاً شديداً على بعض عقلاء الأوس والخزرج، إذ صاروا فى ما وصفهم به أصحاب بيعة العقبة الأولى من الأنصار إذ قالوا لنبى الله: «إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بيننا»، ويهود يومئذ «قد عَزُّوهم ببلادهم» أى غلبوهم عليها واستأثروا بها، كما قال رجال من الصحابة وكما قال أكثر رواة التاريخ القديم. وكان بعض اليهود يحالف الأوس، وبعضهم يحالف الخزرج، ولكنهم كانوا يداً واحدة إذا جد الجد، فيخرجون من معارك هذين الأخوين لا يصيبهم شرٌ كثير ولا قليل، بل كانوا يقولون لهم: «إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم» وشغلت الحرب والعداوة هذين الحيين، فانصرفوا عن الزراعة واستولت عليها يهود، وشغلتهم عن التجارة فاستبدت بها يهود، وشغلتهم عن حماية أرضهم فعاثت فيها يهود. وأخذت يهود تبنى فى المدينة وما جاورها آطاماً وحصوناً كثيرة متفرقة، وتجمع فى هذه الحصون ما استطاعت من السلاح والحلقة وعُدة الحرب، وهى شىء كثير جداً كما ظهر ذلك بعد فتح هذه الحصون والآطام على يد رسول الله وأصحابه من المهاجرين والأنصار. ولم يكن ذلك من فعلهم فى المدينة وما جاورها وحسب، بل كان مثله أيضاً فى جنوب الجزيرة، فى اليمن وتلك البقعة من نجران وصنعاء إلى ناحية البحرين، كانوا يقيمون الحصون والآطام ويجمعون فيها السلاح فيكثرون الجمع، وينشئون لأنفسهم مدناً أو شبه مدن فى هذه النواحى كلها، هى لهم خالصة لا يساكنهم فيها أحد.

نعم، ينشئون المدن والحصون والآطام ويجمعون السلاح، ويحالفون من جاورهم من الأعراب والبدو، ويوقعون بين حلفائهم العداوة والشر، فى المدينة وفى غير المدينة من جزيرة العرب. فماذا كانت تريد يهود بإعداد كل هذه العدة من البناء والسلاح وإيقاد البغضاء، وصرف وجوه الناس عن أسباب الحياة إلى معترك الحرب؟ كانت تريد فى المدينة مثلا أن تسقط البلاد فى أيديهم خالصة لهم، بعد أن يتفانى الأوس والخزرج فى حروبهم التى يؤرِّثونها بينهم، كما رأيت ذلك من فعلهم يوم رأى شأس بن قيس اليهودى ما رأى من صلاح ذات البين بين الأوس والخزرج بالإسلام، فيرسل إليهم فتى من يهود يناشدهم ما تقاولوا من الشعر فى حروبهم، فتكاد الحرب تقع بين الأوس المسلمين والخزرج المسلمين، لولا أن أدركهم رسول الله فردّهم إلى عقولهم وأطفأ كيد اليهودى شأس بن قيس. ومن قارن بين فعل يهود قديماً وفعلهم حديثاً فى فلسطين، ومن إقامتهم الحصون والآطام والمدن فى المدينة وغيرها من الجزيرة، وما فعلوا من إنشاء المدن والحصون والمستعمرات حديثاً فى فلسطين، عرف أن هذه شيمة يهود منذ قديم، وهذا هو أسلوبهم قديماً وحديثاً حذوك النعل بالنعل. وإذن فقد كانت تريد يهود أن تنشىء دولة فى المدينة شمالا وفى اليمن جنوباً كما تريد اليوم أن تنشىء دولة لليهود فى فلسطين، وفى غير فلسطين أيضاً.

هكذا كان أمرهم فى الجاهلية، ثم يرسل الله رسوله ويهاجر إلى المدينة فلا يكاد يفعل حتى يمتلىء تاريخ الإسلام منذ ذلك اليوم بأخبار اليهود وفتنتهم وتأريثهم العداوة بين العرب المشركين والعرب المؤمنين، وبسعايتهم فى تأليب الأحزاب على رسول الله، وبغدرهم ونكثهم ودسائسهم، لم يكفوا ساعة عن التماس غرة المؤمنين والمؤمنات، وعن ابتغاء الوقيعة بين المؤمنين أنفسهم. ويمتلىء تاريخ الإسلام منذ ذلك اليوم أيضاً بأخبار المنافقين، وقد أجاد الله لنا صفتهم فى كتابه، وبين لنا أحسن البيان صلتهم باليهود وإيواء اليهود لهم، ويكثر ما نزل من الآيات فى شأن اليهود والمنافقين جميعاً، مقرون ذكرهما معاً. وتكون أول سورة نزلت من القرآن فى المدينة هى السورة التى تذكر فيها (البقرة)، يقول الطبرى فى تفسيره ج ١ ص ٨٤ بإسناده عن ابن عباس: «إن صدر سورة البقرة إلى المئة منها

نزل في رجال سماهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج ، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم » . ثم ماذا ؟ ثم تكون آخر سورة نزلت بالمدينة ، أو آخر سورة نزلت من القرآن ، هي سورة « براءة » أو سورة « التوبة » ، تلك السورة التي فضحت اليهود والمنافقين وهتكت عن سرائرهم ، وكشفت عما كانوا يبيتون من القول ومن الكيد ، والتي يقول الله فيها : « يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون » ، والتي سماها بعضهم « الفاضحة » و « المخزية » و « المنكلة » و « المشردة » و « المدمدمة » دلالة على ما جلبت على اليهود والمنافقين من الفضيحة والخزي والتنكيل والتشريد والدمدمة . ثم تكون هي السورة التي يذكر فيها « الأعراب » الذين حول المدينة من حلفاء يهود ، ست مرات .

تنزل أول سورة من القرآن ، فإذا هي في اليهود والمنافقين ، وتنزل آخر سورة من القرآن فإذا هي في اليهود والمنافقين ومن حول المدينة من الأعراب حلفاء يهود ، ويتنزل ما بينهما من القرآن في عشر سنوات متواليات يصف ما كان من أمر هؤلاء ، وينذرهم ، ويكشف عن دسائسهم وكيدهم ، فإذا بك ترى تاريخ الإسلام في هذه الحقبة — منذ هاجر رسول الله إلى أن توفاه الله — حافلا بالغدر والكيد والتأليب ونكث العهود ونقض المواثيق . ويكون أول ذلك أن تسلم طائفة من أحبار يهود سماهم أصحاب السير والتاريخ ، يسلمون نفاقاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما فعل كعب الأحبار وعبدالله بن سبأ وغيرهما في عهد عمر وعثمان) ، فكانوا يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزئون بدينهم ، ويحدثنا ابن هشام عنهم فيقول : « فاجتمع يوماً في المسجد ناس منهم ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً » ، فهل نجد أوضح ولا أبين من هذا في صفة المتآمرين حين يجلسون يتخافتون بينهم أمراً يكيدون به ويبيّتونه ؟ ويظل هذا حال المنافقين وحال اليهود معاً إلى أن يدعو الله إليه رسوله : يأوي المنافقون إلى أشياخ من اليهود يتآمرون يوماً بعد يوم عشر سنوات متواليات ، ويكون على رأس هؤلاء المتآمرين رجال كأمثال رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودي الذي أظهر الإسلام وأبطن النفاق ، فيسميه المسلمون « كهف المنافقين » ، لأنهم كانوا يخلون إليه ، ويتآمرون فيه بالليل ، ويستودعون ظلام هذا الكهف السميع البصير سرّ تآمرهم وخفي كيدهم. ورسول الله في خلال ذلك كله يجاهدهم ويرجو هدايتهم ، ويظل يفعل ذلك ثماني سنوات غير قانط ولا يائس ، يصلي على من مات من المنافقين ويستغفر لهم ، فإذا طال ذلك أنزل عليه ربه في سورة « براءة » آخر سورة نزلت ، أشد آية في القرآن خاطب الله بها عبده ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الظالمين » ثم يجيء أشد النهي فيقول : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » . كلمات قاطعة وأوامر حاسمة كحد السيف !!

عشر سنوات والقرآن ينزل على رسول الله في المنافقين واليهود مقرون ذكرهما معاً !! عشر سنوات تقرأ تاريخها في كتب السيرة فلا تمضي صفحة واحدة إلا وفيها ذكر لليهود والمنافقين معاً ، عشر سنوات واليهود والمنافقون معاً يؤلبون على رسول الله القبائل ويفتنون المسلمين ، ويدبرون الكيد للمؤمنين والمؤمنات ولرسول الله ، حتى كان ما كان من اليهودية التي دست له ولأصحابه السم في الشاة فينبأ صلى الله عليه وسلم بما فعلت ، فيلفظ بضعة اللحم من فمه صلى الله عليه وسلم .

ثم ماذا ؟ ثم يحدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا منهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فيقول : « كان آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم أن قال : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » . آخر كلمة ينطق بها صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ! آخر كلمة تجري على لسانه وهو يلبي دعوة ربه إلى الرفيق الأعلى ! ويروي الرواة هذه الكلمة ، ويأتي علماؤنا أحسن الله جزاءهم فيقفون عند هذا الحديث ينظرون ما سرّ هذا الأمر الحازم القاطع ؟ إنهم لا يهتدون إلى سر ، ولا يقفون

خبر ، إلا أن يقولوا جميعاً كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام
كتابه الأموال ص٩٩ : «وإنما نُرَاه قال ذلك صلى الله عليه وسلم
ث كان منهم ، أو لأمر أحدثوه بعد الصلح » رويدكم أيها
.ء ! إنه تأويل متهافت ، ولا تجعلوا الظن أصلا فى التأويل .
كان أولى بكم أن تسألوا أنفسكم : أى نكث ذلك الذى كان
يهود الحجاز ومن أهل نجران ؟ وكيف ذهب خبره فلم
نا ؟ وأى أمر ذلك الذى أحدثوه بعد الصلح ؟ وكيف غاب عنا
ه ؟ ولكن غفر الله لكم وجزاكم خيراً إذ لم تقطعوا برأى
ونه على الناس كما يفعل أدعياء العلم وكذبة العلماء فى عصرنا
، بل قلتم جميعاً كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام : «إنما نراه»
م النون) أى إنما نظنّه ظنا . ولكن ما قيمة الظن فى أمر
ا الأمر ؟ وكيف تريدون أن تفسروا حديثاً بظن من الظنون
ت به رواية ، ولم يعرف له خبر يؤيده من حوادث التاريخ ؟
كلا أيها العلماء ! إنها آخر كلمة تكلم بها رسول الله وهو
ن عن الدنيا مقبل على الآخرة ، آخر كلمة ينطق بها لسان
لله الذى لا ينطق عن الهوى . كلا فالأمر أعظم وأجل وأخطر
ظنون . إنها كلمة من كلمات النبوة ! إنها تنبيه من الله على
، نبيه إلى أحداث ستكون ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى
اً . لقد كشف الغطاء وتتجلى لرسول الله غيب ما سيكون ،
وهو على فراش الموت كما رآه المؤمنون عياناً من بعد : فتنة
نة فى الحجاز وما جاورها ، وفى نجران وما أطاف بها . نار
ة فيما حول المدينة من الحجاز ، وأخرى مستعرة فيما حول
، من اليمن . إنه يقولها صلى الله عليه وسلم لا لشىء كان بل
. سيكون ، يراه هو ولا يراه أصحابه رضى الله عنهم .

ولقد نزل الموت برسول الله صلى الله عليه وسلم كأشد ما ينزل
دعا بقدح من ماء ، يدخل يده فيه ثم يمسح وجهه بالماء ثم
: « اللهم أعنى على سكرات الموت . اللهم أعنى على كرب
. ادن منى يا جبريل ! ادن منى يا جبريل ! ادن منى يا جبريل »
ه صلى الله عليه وسلم خميصة (ثوب من خز) يأخذها فيلقيها
جهه ، حتى إذا اغتمّ بها وضاق ألقاها عن وجهه وهو يقول
ة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »
ل أيضاً : « لئن بقيت لا أدع بجزيرة العرب دينين » ، وتكون

آخر كلمة يتكلم بها وهو فى مثل ما ترى من كرب الموت : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » : أى أدركوا النار قبل أن تشتمل ، أنقذوا العرب من فتن لا تبقى ولا تذر ! احذروا يهود الحجاز ، واحذروا أهل نجران خذوا عليهم طريق الفتنة وأخرجوهم قبل أن يخرجوكم ويسفكوا دماءكم أيتها العصابة القليلة المؤمنة ! ويقبض الله إليه نبيّه قبل أن يقول لهم فى هذا الأمر قولا لا يضلون بعده ، وتبقى هذه الكلمة بغير تفسير حتى يقول العلماء فى سرها ما قالوا رجماً بالغيب .

ثم ماذا ؟ ثم لا تكاد تتم بيعة أبى بكر حتى تنفجر الردة فى أماكن بعينها من جزيرة العرب ، فتقول عائشة بنت أبى بكر الصديق أم المؤمنين قولا يروى لنا ، لم يلق إليه أحد بالا إلى يوم الناس هذا : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ! اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب وصار أصحاب محمد كأنهم معزى مطيرة ، فى حُش ، فى ليلة مطيرة ، بأرض مَسبعة . فوالله ، ما اختلفوا فى واحدة إلا طار أبى بحظّها وغنائها عن الإسلام » . ويحدثنا أيضاً عروة بن الزبير العوام : « وقد ارتدت العرب إما عامة ، وإما خاصة فى كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم فى الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وقلتهم وكثرة عدوهم » .

وخليق بى وبك ، أن نقف قليلا عند هذا . نقف حيث وقف بنا أمر رسول الله أن : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » ، نقف حيث وقفت بنا آخر كلمات تكلم بها صلى الله عليه وسلم ، وحيث وقف بنا قوله وهو فى كرب الموت « لئن بقيت لا أدع جزيرة العرب دينين » ، وحيث وقف بنا قول أم المؤمنين عائشة : « اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب » ، وحيث وقف بنا حديث عروة : « ارتدت العرب ... ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى » . ثم نأخذ جميعاً نقرأ تاريخ حروب الردة فى كتب القدماء من المؤرخين ، وماذا قالوا فى أسبابها ، ونقرأ تاريخها أيضاً فى كتب المحدثين من المؤلفين والمؤرخين ، ونقرأ

أيضاً كتب المستشرقين الذين يجلّهم الدكتور طه ويرفع بذكرهم رفعاً شديداً . فماذا نجد ؟ نجد غموضاً شديداً كأننا نسير فى ليلة مظلمة فى بطن واد عميق ، عن يمينه جبل شامخ وعن يساره جبل شامخ قد أطبقا عليه جميعاً . وإذا الردة فى كتب القدماء أخبار مجموعة كما اتفق لهم أن يجمعوها ، لم ينظر أحد فى أسبابها ، ولا فى الحوافز التى أغرت العرب بها ، ولا فى أمر المرتدين وصفتهم وعلاقة بعضهم ببعض ، ولا فى وجه الشبه الذى يجمع بينهم قبل أن يرتدوا . وإذا الردة فى كتب المحدثين أخبار أيضاً حاول أصحابها أن يرتبوها ما استطاعوا ، فلما نظروا فى أسبابها ، وفى حوافزها ، وفى صفة أهلها وفى علاقة بعضهم ببعض ، وفى وجه الشبه الجامع بينهم قبل أن يرتدوا — إذا بهم يخلطون خلطاً شديداً كأنهم يبحثون عن ذرة فى بحر من الوحل . وإذا المستشرقون يملأون كتبهم كعادتهم بالجهل الذى يضرب بعضه فى وجوه بعض .

نعم ، نقرأ تاريخ الردة فى كل هذه الكتب جميعاً ، فإذا هى خالية جميعاً من ذكر اليهود ومن ذكر المنافقين إلا كلمة شاردة ككلمة عائشة وكلمة عروة بن الزبير بن العوام تمرض فى كتب القدماء ، وإذا المحدثون من المستشرقين الخائضين فيما ليسوا له بأهل ، لا يكادون يذكرون اليهود والمنافقين فى حرب الردة ، وإذا هذا عجب من أعجب أمرهم ، فهم أشد ولعاً بالبحث عن الأسباب واستقصائها ونبشها ، من أن تخفى عليهم هذه الحقيقة البينة التى بين أيديهم ، حقيقة اليهود والمنافقين وما كان لهم من خطر فى تاريخ الإسلام منذ هاجر رسول الله إلى أن قبضه الله إليه !! وإذا بك ترى المؤلفين من رجالنا قد ضلوا إلى حيث أضلهم أساتذتهم من المستشرقين ، فغفلوا عن تعليل الردة كيف كانت ؟ وكيف بدأت ؟ ومن بدأها ؟ وكيف تم أمرها ؟ ولم يسأل واحد منهم نفسه . أليس من العجيب الذى لا يقضى منه عجب أن يقضى نبى الله عشر سنوات منذ هاجر إلى المدينة حتى قبضه الله إليه ، فلا يمضى يوم واحد لا يلق فيه أشد البلاء من كيد يهود ، ومن كيد أشياعهم وصنائعهم من المنافقين ، ثم يظل رسول الله هذه السنوات العشر وهو يقاتل اليهود ويقاتل مكايدهم فى الأوس والخزرج ، وفى القبائل ، وفى الأعراب حول المدينة ، ثم يظل رسول الله يتلقى الوحى من ربه هذه السنوات العشر ، فإذا أول سورة تنزل عليه وهى البقرة ، أكثرها فى ذكر اليهود والمنافقين وبيان حالهم وصلة بعضهم ببعض وائتمارهم جميعاً بالمؤمنين الذين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله . وإذا آخر سورة تنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهى براءة كلها فى صفة اليهود والمنافقين ، وفى الكشف عن أقوالهم ودسائسهم وكذبهم وخداعهم حتى فضحتهم ونبأتهم بما تخفى صدورهم من الكيد والغيظ والنفاق ، ثم يكون آخر ما يتكلم به صلى الله عليه وسلم وهو فى كرب الموت : « لئن بقيت لا أدع فى جزيرة العرب دينين » ، وأمره لصحابته : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » ، ثم يقبض الله إليه رسوله ويبايَع أبو بكر ، وما هى إلا أيام قلائل حتى تشتعل نيران الردة فى أماكن بعينها من جزيرة العرب شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً — أليس من العجيب الذى لا يقضى منه عجب أن لا نجد بعد هذا كله شيئاً فى كتب القدماء أو المحدثين — أو المستشرقين إن شئت — ذكراً لليهود والمنافقين فى أمر الردة ؟ أهكذا ينتهى فجأة من تاريخ العرب ذكر اليهود والمنافقين بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أيجوز فى المعقول أن تظل يهود وأشياعها من المنافقين تكيد للاسلام ولرسول الله والمؤمنين والمؤمنات عشر سنوات كاملة متتابعة يوماً بعد يوم ، فإذا لحق رسول الله بالرفيق الأعلى (فى سنة ١١ من الهجرة) نزعوا أيديهم من كل كيد ، وبرئوا من كل حدث كان بعد ذلك فى تاريخ الإسلام — برئوا من الردة (فى سنة ١١ من الهجرة) ، وبرئوا من مقتل عمر (فى سنة ٢٣) ، وبرئوا من الفتك بعثمان بن عفان رضى الله عنه (فى سنة ٣٥) .

ولكن كيف غاب عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى قوله : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » ؟ وكيف غفل قدماء علمائنا عن معنى هذا الحديث وفهم قيل ؟ وكيف ذهل المؤرخون القدماء عن أن يربطوا بين تاريخ الردة وبين تاريخ اليهود والمنافقين ؟ وأخيراً كيف كانت الردة فى الإسلام ؟ وما آثارها التى تخلفت عنها ؟

هذا حديث أحدثك به إن أنسأ الله فى أجلى حتى ألقاك فى مكانى من هذه الصفحات .

محمود محمد شاكر

خلك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

— ٢ —

تفنيد رأى الباشا الجديد

— بينت فيما تقدم أن ما استقر عليه رأى الباشا فى بحثه يقوم على عناصر ثلاثة .

ا) تفسيره لقوله تعالى « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى حوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم لوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »

ب) تفسيره لقوله تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »

حـ) محاولة التوفيق والتنسيق بين التفسيرين أو التأويلين. ت فيما سبق أيضاً على خلاصة وافية لهذه العناصر . وها أنذا نيما يلى ما استدل به معاليه لكل منها مردفاً كل دليل عليه : —

— أدلة العنصر الأول : استدل معاليه لرأيه فى تفسير لأولى بالأدلة الآتية : —

ـليل الأول — أن تحديد عدد الزوجات من الأمور ية فى التشريع للعرب ، فلا يستقيم مع بلاغة القرآن بحكمه بصفة عرضية جواباً لعبارة شرطية واردة لغرض الإقساط لليتامى ، (بدليل أنها مسبوقة بقوله تعالى : ليتامى أموالهم — الآية ٢ من سورة النساء) فهى بعيدة ا كل البعد عن نكاح النساء وتقييد التعدد ولا مناسبة بينه .

دى على هذا الدليل :

— أن السورة الواردة فيها هذه الآية تسمى « سورة » وهى من أكثر سور الأحكام اشتمالا على أنواع مختلفة فن أحكام خاصة باليتامى والسفهاء ومعاملتهم والاقساط أخرى خاصة بالنساء ونكاحهن والمحرمات منهن إلى ثالثة خاصة بالمواريث والمعاملات المالية إلى رابعة خاصة بالقتال والجهاد فى سبيل الله ، وفى التلاوة ليست الآيات الخاصة بكل نوع مجموعة فى موضع واحد من السورة بل نجد بعض آيات النوع الواحد متفرقة فى مواضع مختلفة منها ، فمثلا أحكام المواريث وردت عنها الآيات ذوات الأرقام ١١ و ١٢ و ١٨ و ١٧٥ ، وأحكام القتال والجهاد فى سبيل الله وردت عنها الآيات ذوات الأرقام من ٧١ إلى ٧٧ و ٨٣ و ٨٩ و ٩٠ ومن ٩٤ إلى ٩٦ . وكذلك أحكام النساء وردت آياتها متفرقة فى مواضع مختلفة من السورة ومثلها أحكام اليتامى ، وفى بعض المواضع تتعاقب آيات النوعين كما فى الآية ذات الرقم ٣ التى نحن بصددها إذ سبقتها الآية ذات الرقم ٢ عن اليتامى وهى قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أنه كان حوباً كبيراً) ولحقتها الآية ذات الرقم ٤ وهى قوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) ثم الآية ذات الرقم ٥ عن السفهاء والآية ذات الرقم . عن اليتامى؛ ومن الآيات ما تشتمل الواحدة منها على نوعين أو أكثر من الأحكام ، كالآية ٥ من سورة المائدة . وهذا النهج الدالة عليه جزئيات أخرى كثيرة فى مختلف الصور ، راجع إلى مراعاة ما بين بعض موضوعات الأحكام المتعاقبة آياتها من وجوه المشاكلة والمناسبة بالرغم من اختلاف هذه الموضوعات ، وإلى أن التنزيل كان منجماً تبعاً لأسباب ومناسبات النزول . وإذن فليس فى مجرد سبق الآية ذات الرقم ٢ الخاصة باليتامى للآية ذات الرقم ٣ ما يدل على أن الأخيرة نزلت أيضاً فى شأن اليتامى قصداً وأن ما ورد فيها عن النساء جاء بصفة عرضية غير مقصودة .

٢ — والدليل على أن الكلام فى هذه الآية وارد فى شأن نكاح النساء قصداً لا عرضاً الآية ذات الرقم ١٢٧ المبدوءة بقوله تعالى (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن، وما يتلى عليكم في الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) وهى التى تشير كما ذكر معالى الباشا إلى حكم الآية السابقة ذات الرقم ٣ مما يبين أن تلك الآية نزلت قصداً فى حكم النساء أيضاً ، ولذا اتبعت كما قدمنا بالآية ذات الرقم ٤ الواردة فى حكم آخر خاص بنكاح النساء ، وهو حكم صداقهن

٣ — أن فى تفسير هذه الآية أقوالا أربعة ذكرها ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية مؤيدة بالمأثور عن الصحابة والتابعين فى بيان سبب نزولها وتفسيرها على ضوئه . وأحد هذه الأقوال ما ذكره الباشا من أنها أمر لأولياء ، اليتيمات بنكاح سواهن إن خافوا ألا يقسطوا لهن فى أموالهن . لكن ابن جرير بعد ما ذكر هذه الأقوال الأربعة قال : « وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بتأويل الآية قول من قال بتأويلها : وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فكذلك فخافوا فى النساء ، فلا تنكحوا منهن إلا مالا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة إلى الأربع إلى أن قال » وإن خفتم أيضاً الجور على أنفسكم فى أمر الواحدة بألا تقدروا على إنصافها فلا تنكحوها ولكن تسروا من المماليك فإنكم أحرى ألا تجوروا عليهن لأنهن أموالكم وأملاككم ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر » اهـ.[1] فعلى هذا التفسير المختار تكون الآية كلها بما فيها من عبارة الشرط وعبارة الجواب واردة فى نكاح النساء عامة ، ويكون ذكر اليتامى فى عبارة الشرط لمجرد قياس وجوب العدل فى النساء على وجوب العدل فيهم ليكون ذلك أفعل فى النفوس ورعاية المناسبة بين هذه الآية والآية السابقة الواردة فى اليتامى . وسواء أكان المقصود بالآية رعاية الإقساط الواجب للنساء كالإقساط الواجب لليتامى أو رعاية الإقساط لليتيمات أنفسهن ، فلفظها صريح فى تحديد نكاح النساء بعدد معين ، وحكم إباحة التعدد مأخوذ منها اتفاقاً لأن العبرة كما هو معلوم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ومما تقدم يتضح وجه الارتباط بين عبارتى الشرط والواجب فى الآية ويندفع الاعتراض على إفادتها حكم التعدد .

الدليل الثانى . أن كلمة (ما) فى قوله تعالى (ماطاب لكم) هى من أقوى ما يكون فى إفادة العموم ، والباشا يميل إلى القول بأنها نكرة بمعنى (أى شىء) أى أية امرأة أو مجموعة من النساء ولا يميل إلى القول بأنها موصولة بمعنى (من) وقد استعمل مشاكلة لها كلمة (طاب) ولم يستعمل كلمة (حل) لأن الطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراماً ، فما يطعن على بلاغة القرآن وتساوق عباراته أن ينحدر من هذا العموم الكلى إلى التحديد والقصر على الأربع .

وأقول فى الرد على هذا الدليل أنه فضلا عن أنه لم يرد عن أحد من رجال اللغة — الذين يقول الباشا إنه اعتمد على مقرراتهم فى فهم الألفاظ التى تناولها بالتفسير — القول بأن (ما) هنا نكرة ، وبالرغم من أن لطاب معنيين : المعنى الذى أورده الباشا ، ومعنى آخر هو (حل) وهذا المعنى هو ما قال به أئمة اللغة فى تفسيرها هنا وما استقر عليه اصطلاح الأئمة والفقهاء فى استعمالها ، فكان أحدهم إذا استفتى فى حكم فعل من الأفعال قال : أراه طيباً أو أراه يطيب له (أى للفاعل) بمعنى أنه حلال أو يحل[1] — أقول فضلا عن ذلك فليس فيما فهم به الباشا هذين اللفظين ما يعكر على دلالة الآية على تحديد التعدد ، ذلك أن العموم المستفاد من (ما) إنما هو « عموم وصفى » أى مستغرق لجميع الأفراد المندرجة تحت وصفها (لأنها نكرة موصوفة فتكون مقيدة ، بوصفها كما هو معلوم) لا « عموم عددى » فالتحديد بعد ذلك فى العدد لا يتعارض والعموم لأنه تحديد لغير الجهة المقصود عمومها ، وإنما يمس عموم هذا اللفظ ما يخرج منه بعض أفراده أى ما يخرج بعض النساء الطيبات عن حل نكاحهن كما لو قال « فانكحوا ما طاب لكم من النساء على أن كن مسلمات (أو غير يتيمات) » فتخرج فى هذه الحالة الكتابيات واليتيمات مع اندراجهن تحت عموم النكرة الموصوفة . وإلا فليتفضل معالى الباشا فيدلنا على صيغة أخرى كان يمكن نزول القرآن بها للدلالة على حل نكاح ما يطيب للرجل من النساء فى حدود الأربع . على أنى أسارع فأنبه إلى أنه حتى على التسليم بأن فى القول بدلالة الآية على تحديد التعدد قصراً وتحديداً لعمومها المستفاد من لفظ (ما) فليس فى ذلك ما يصح اعتباره عدم تساوق يطعن على البلاغة إذ غاية ما فيه أنه تخصيص عام وذلك مألوف ومتعارف فى القرآن وفى غيره من بليغ كلام العرب حتى قالوا « إنه ما من عام إلا وخصص » وجعلوا من أنواع العام : العام المخصوص والعام الذى أريد به الخصوص .

الدليل الثالث : أن القول بدلالة الآية على حكم تحديد التعدد يؤول بنا إلى نتيجة منكرة : ذلك أن مثنى وثلاث ورباع معناها

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ، جـ ٤ ص ١٥٥ وما بعدها ، طبع مصر سنة ١٣٢٥

(١) ولم يرد عن أى واحد منهم وصف ما هو حرام بالطيب ، بل كانوا جميعاً يصفونه بالخبث

ن عليه عند الجميع اثنان اثنان وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ،
ون المعنى أن يأتي الرجل لامرأتين فيتزوجهما في وقت واحد
واحد ، أو لثلاث نساء أو لأربع فيتزوجهن في وقت واحد
واحد كذلك . وهذا من أشد ما يكون إفساداً للفكر
ته ما هو معلوم من ماجريات العادة عند العرب وغير العرب
واج . فليس إذن المعنى الحرفي هو المقصود وإنما هذه الألفاظ
ية عن الأخذ الجزاف النافي لكل تحديد ؛ لأن عبارة « مثنى
ث ورباع » أتت بكل ما في العربية من ألفاظ الصفات العددية
يمية إذ لم يسمع في العربية بعدها إلا لفظ « عشار » فقط

ورد على هذا الدليل من وجهين : (الوجه الأول) إقرار
ه على ما رآه من أن المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ لا يمكن أن
ن مراداً بها ، ومنع أن يكون الأخذ الجزاف النافي لكل
د لازماً لهذا المعنى الذي ليس له في الواقع لازم عقلي ، وغاية
ه أنه يمكن الخروج من النص — إذا نحن أغفلنا معنى تحديد
د المتعارف منه — بأنه لم يرد فيه ما يوجب التحديد ، والفرق
ناحيتين واضح إذ الأولى ناحية إيجابية كان يجوز لو وجدت
يكون مقصودة للشارع ، أما الثانية فلا يمكن أن تكون
ودة له لأنها أمر سلبي .

(الوجه الثاني) أنه حتى على التسليم بأن هذا المعنى لازم
ة فلا يمكن أن يكون مكنياً بها عنه إذ يشترط في الكناية
كما هو معلوم — جواز إرادة المعنى الأصلي . وقد سلم معنا
بأن هذا المعنى لا يمكن أن يكون مراداً . على أنه ليس مما
ب بلاغة القرآن ومقاصده — وهو بصدد تأليف العرب
مصادمتهم في العادات المتأصلة فيهم كما يقول الباشا — أن
ل في ذلك عبارة تخالف — في ظاهرها على الأقل —
ات هذه العادات وقد كانت له مندوحة عن ذلك باستعمال
ة ، بدلا من الكناية ، في هذا المقام .

لدليل الرابع — أن القرآن لو أراد بهذه الآية تحديد تعدد
ت بالأربع لعبر عن ذلك بعبارة بسيطة موجزة (يحل نكاح
إلى أربع) بل لنص على تحريم ما وراء الأربع في آية المحرمات
الرد على الشق الأول من هذا الدليل أن التعبير على هذا
لا يتناسب والمستوى الرفيع لأسلوب القرآن القائم على
قواعد من الترغيب والترهيب ، والتبشير والتنفير ، والوعظ والزجر ، والوعد والوعيد ، مما هو وحده كفيل بتحقيق أغراضه السامية ؛ فقد أراد سبحانه أن يبين للعرب بهذه الآية الكريمة ما أطاقه لهم من سعة في أمر النكاح المشروع تغنيهم عن مقارفة الحرام فشرع لهم نكاح كل منهم ثنتين بدلا من واحدة إن أمن الجور ، فثلاثاً بدلا من ثنتين إن أمن ذلك ، فأربعاً بدلا من الثلاث إن أمن ذلك أيضاً ، فإن هم خافوا الجور في الأربع فليعدل الخائف عنهن إلى الثلاث أو الثنتين ، أو الواحدة ، أو ما ملكت يمينه . ولا يخفى ما في سوق التعبير على هذا النحو من بلاغة مقنعة للمخاطبين مما لا تفي به العبارة التي رآها الباشا « بسيطة موجزة »

والرد على الشق الثاني من الدليل أن آية المحرمات لم تستقص كل النساء المحرم نكاحهن ، فلم يرد فيها مثلا ذكر لزوجات الأب اللاتي حرم نكاحهن بآية أخرى هي قوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا » وذلك عناية منه عز شأنه بهذا التحريم يخصه استقلالا بآية توضح شناعة ما كان متعارفاً مألوفاً من ذلك النوع من النكاح ، كما لم يرد فيها ذكر المشركات المحرم نكاحهن بقوله تعالى في آية أخرى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وذلك قصد بيان أغراض خاصة بهذا التحريم (حتى يؤمن) وعلة (أولئك يدعون إلى النار) مما لا يشترك فيه تحريم آية المحرمات ، فكذلك الحال فيما يتعلق بتحريم ما زاد على الأربع يخصه استقلالا بآية تفي بالأغراض السابق بيانها . على أن الأمر في هذه الآية ليس مقصوراً على تحريم ما زاد على الأربع حتى كان يمكن أن تشمل مدلولها آية المحرمات ، بل قصد أيضاً بيان حل التعدد إلى الأربع وترتيب التحريم لما جاوزهن على بيان حلهن وما فيه من سعة مجزئة تناسب تخصيص آية لذلك تنتظم هذه الأغراض التي لا يتناولها شأن الوارد ذكرهن بآية المحرمات واللاتي قصد إلى تحريمهن لذواتهن ، لا لأمر عارض كزيادتهن على الأربع ...

(يتبع)

إبراهيم زكي الدين بدوي
المتخصص في الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

رسائل حائرة :

الرسالة الرابعة ...

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

لا تسأليني حين أرجع والأسى باد عليا
والدمع يلمع فوق أهدابي ، ويمشي ناظريا :
« ماسر هذا الحزن ؟ مالك تذرف الدمع الأبيا »
نظراتك السجواء تنسيني كآباتي مليا
بسماتك الغراء تملأ عالمي زهرا نديا
لماتك الزهراء تبعث في دمي نغما شجيا
إني ليحزنني سؤال الناس عن سري الدفين
فبحق ما بيني وبينك من هوى لا تسأليني

لا تسأليني إذ نكون مما هنالك في خميله
فتريني مستغرقا في الفكر آونة طويله :
« ماسر هذا الفكر ؟ ما تلك الخيالات الجميله ؟ »
إني — وحبك — لست أدرك سره حتى أقوله
إني على رغمي أفكر ، ليس لي في الفكر حيله
أنا زورق في لجة الأفكار لا يدري سبيله
حيران يبحث دون ماجدوى عن الشط الأمين
فبحق ما بيني وبينك من هوى لا تسأليني

لا تسأليني : « هل تراك تقول هذا الشعر عني ؟
أتراك ترفعه إلي ، وتستمد الوحي مني ؟ »
إني من الغيد الملاح الفاتنات أخذت فني
من كل فارعة القوام ، وكل بارعة التثني
إن حدثت ، فحديثها في الروح لحن أي لحن
وإذا بدت ، فكأنها فجر الربيع بدا يغني
يا منيتي أنا بلبل يشدو على كل الغصون
فبحق ما بيني وبينك من هوى لا تسأليني

لا تسأليني أن أراك ، وأنت في حضن الضياء
إن الضياء يذيع أسراراً نحن إلى الخفاء
إني لأهوى أن أراك ، وأنت في ظل المساء
فالليل عند ذوي القلوب يزيد في سحر النساء
والليل لحن ساحر الأنغام ، مسحور الأداء
والليل قيثار تداعبه ملائكة السماء
هذي مناي أذعتها بيضاء سافرة الجبين
فإذا فهمت حديثها ، فمناك ألا تسأليني

لا تحرجيني بالسؤال ؛ فقد يحيرني الجواب
ما كل شيء في الضمير يبين معناه الخطاب
ومن الأماني ما يبينه الحياء والاضطراب
وأرى المعاني كالنساء ، فبعضهن له نقاب
وأرى العيون لها حديث ليس يخطئه الصواب
تبدي السرائر مثلما يبدو من الكأس الشراب
فتعرفي بالروح روحي ، وافهمي لغة العيون
وبحق ما بيني وبينك من هوى لا تسأليني

إبراهيم محمد نجا

من الأدب البرازيلي

ترجمة الأستاذ شفيق معلوف

شراعان

طريقك غير طريقي وروحك   رائدها لم يعد رائدي
شراعان نحن فسيري ولا   تعودي فما أنا بالعائد
رآنا القريب فيدرك بعد   شراعك من زورق الشارد
وأما البعيد فيحسب أنا   شراعان في زورق واحد

« جودس ازغور وغوتا »

(البقية على الصفحة التالية)

الأدب والفن في أسبوع

القومية العربية حتى تكوين الجامعة:

كانت المحاضرة الأخيرة للأستاذ ساطع الحصري هي: « نشوء ـكرة القومية في البلاد العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى ـكون جامعة الدول العربية » ؛ وقد ألقاها يوم السبت في الجمعية ـغرافية الملكية، تختم بها بحثه القيم في نشوء القوميات في ـض البلاد الأوربية وفي تركيا وفي البلاد العربية، وقد استعرض كل هـذه البلاد الحوادث والتيارات الفكرية الدالة على أن ـومية نشأت وتكونت في كل منها على أساس اللغة والتاريخ.

وقد أشار في بدء هـذه المحاضرة إلى الاتفاق الذي تم قبيل ـرب العالمية الأولى بين العرب والأتراك، والذي يقضي بجعل ـعليم في المدارس باللغة العربية بدل التركية وباشتراك العرب في ـض المناصب والهيئات النيابية، فقال إن هـذا الاتفاق قوبل ـرتياح من الجانبين، ولكن التيارات السياسية المختلفة ظلت ـخذة في مجراها، ووجدت حوادث منها الانتقام من زعماء العرب ـطهادهم، مما بث فكرة الثورة في نفوس العرب، حتى حانت ـرصة، وقامت الثورة العربية فعلا ضد الدولة العثمانية، وتقدم الجيش العربي إلى سوريا، وكان يساعده الإنجليز والفرنسيون، وتكونت دولة عربية في قلب سوريا، فقوى الشعور بالقومية العربية وبلغ الحماس لها أشده، وغذاها الكتاب والشعراء.

ولما انتهت الحرب كان الانتداب الفرنسي من قسمة سوريا ولبنان، فأخذت فرنسا تعمل على إضعاف القومية العربية بالطريقة التي تتبعها في شمال إفريقية، فكما كانت تقول لأهل تونس والجزائر، إنهم ليسوا عرباً، وإنما هم من سلائل الرومان، وتمنع التعليم باللغة العربية وتقصره على الفرنسية فيما عدا القرآن؛ كذلك كانت تصنع مع السوريين، وخاصة المسيحيين منهم الذين كانت تقول لهم إنهم من سلالة الصليبيين؛ وعلى الرغم من كل ذلك وغيره من الوسائل ظلت القومية العربية متمكنة من نفوس العرب في سوريا ولبنان. أما في العراق فلم تقاوم الفكرة العربية، لأن الإنجليز كان أكبر اهتمامهم موجهاً إلى الاستراتيجية والشئون الاقتصادية؛ واشتدت العروبة في فلسطين لقوة الشعور بها أمام الصهيونية.

ثم قال الأستاذ: إن مصر كانت بعيدة عن الحركة العربية الأولى، لأنها كانت في شبه استقلال عن الدولة العثمانية، وكانت اللغة الرسمية فيها العربية، وكانت تنظر إلى الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة الإسلامية، فهي تتجه إليها بعواطفها، بل كانت تتطلع إليها للخلاص من الإنجليز؛ ومن الغريب أن الأتراك الذين ينظر إليهم المصريون هذه النظرة — كانوا يحسدون المصريين على ما هم فيه من الحرية المفقودة عندهم، لأنهم كانوا يعانون الاستبداد وتقييد الحريات.

ولكن مع مرور الزمن تنبه المصريون إلى الحقائق، وأدركوا مرامي الفكرة العربية، وشعروا بضرورة التقارب بين البلاد العربية، وأخذ الأفراد والجماعات في جميع البلاد العربية تسير نحو هذا التقارب بمختلف الوسائل، حتى انتهى الأمر إلى شعور الحكومات بذلك، فجعلت تتقارب، حتى تكونت جامعة الدول العربية، فأخذت الفكرة العربية بذلك صبغة رسمية.

ثم قال الأستاذ: إلى هنا ينتهي الجانب التاريخي، أما ما بعده فهو الجانب السياسي لأنه كلام في الحاضر، وأنا أريد أن أتجاوز هـذا الحاضر فأتنبأ بالمستقبل، لأني أرى الظواهر الاجتماعية

ضحك وبكاء

ن بكى الطفل في المساء تجد ... في خده فجر لؤلؤ ضحكا
يبسم الشيخ للضحى فترى ... غياب شمس في مقلتيه بكى

« الفريدو ده اسيس »

الذكريات

كأنّ بالذكريات ازدحمن ... على الصدر مختلجات الجناح
ـامات برج توارت وعادت ... إلى البرج مثخنة بالجراح

« الفريدو ده اسيس »

كالظواهر الطبيعية من حيث دلالة الأمور على ما تفضي إليه ، وقد صحت نبوءتى منذ نحو عشرين عاماً بأن مصر ستتحول إلى الفكرة العربية وتعتنقها — لذلك أستطيع أن أقول — بعد ما أذكركم بما لاحظناه فى المحاضرات السابقة من أن اللغة والتاريخ يدفعان إلى القومية حتماً — بأن جامعة الدول العربية ما هى إلا بذرة وخطوة فى سبيل كالتى سارت فيها الإمارات الألمانية ...

تأبين الجميل باشا :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الأحد حفلة تأبين لعضوه المغفور له انطون الجميل باشا بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، فافتتح الحفل الدكتور فارس نمر باشا بكلمة قصيرة نائباً عن الرئيس الذى لم يحضر لا نحراف ألم بصحته . ثم ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى كلمة ضافية تتبع فيها مراحل حياة الفقيد وعمله فى خدمة الأدب والصحافة ، وأفاض فى بيان مزاياه وصفاته الخلقية الكريمة .

ثم ألقى الأستاذ على الجارم بك قصيدة متينة التركيب عالية البنيان ، وأستطيع أن أصفها بغير ذلك من جزالة اللفظ ووفرة المعنى والاستعارة والخيال ، ولكنى آخذ عليه قوله :

نسى الشعر فى مراح الزوايا رنة الكأس والغزال الأغنا
شغلته مآتم ونعوش عن هوى زينب وعن وعدلبنى

فإن مجرد ذكر الكأس المرنة والغزال الأغن وهوى زينب ووعد لبنى — لا يتفق والمقام

وبعد قصيدة الجارم بك ختم نائب الرئيس الحفل بشكر الحاضرين .

المحندأ والمبهوأ :

اتخذت إحدى المجلات من هاتين الكلمتين مقرونتين بالمجمع اللغوى ، عنواناً وموضوعاً للتفكهة ، لما يبدو بين الكلمتين العاميتين وبين مجمع اللغة العربية من المفارقة والغرابة ، وطاب للمجلة — على أسلوبها — أن تتندر بأن أعضاء المجمع يدعون إلى استعمال بعض الألفاظ العامية دون اعتبار لما ورد فى المعاجم من فصيح اللغة ، وأوردت بعض أقوالهم فى ذلك .

وحقيقة الأمر أن مؤتمر المجمع كان يناقش البحث الذى قدمه إليه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك فى « العامية والفصحى » والذى يرى فيه وجوب دراسة اللغة العامية لأنها لغة قائمة فى حياتنا دراسة تعين على تعزيز الفصحى ببعض الكلمات العامية المحرفة عن العربية ، وذلك بردها إلى أصلها ، لأن هذه الكلمات يجملها شيوعها محاطة بهالة تحدد معناها ، فيكون ذلك كسباً كبيراً للغة الفصحى .

وقال الأستاذ أحمد أمين بك فى مناقشة هذا الموضوع : « تستعمل اللغة العامية كلمات لها معان محددة لا نستطيع التعبير عنها فى الفصحى تعبيراً دقيقاً ، فقد عرضت على المجمع من قبل كلمة « Echantillon » فترجمت بـ«نموذج» إلا أن هذه الترجمة ليست دقيقة فى أداء المعنى وأن كلمة « عينة » العامية تدل على هذا المعنى دلالة تامة . وقد رأى المجمع أن صياغتها عربية فوافق عليها . وإذا قال العامة « بيت محندأ » أى ضيق فى جمال ، و « بيت مبهوأ » أى واسع فى غير نظام فإن الدلالة العامية أدق من الدلالة العربية وهى ضيق وواسع ، فلو وجدنا أنفسنا فى حاجة إلى مثل هذه الكلمات وليس فى الفصحى ما يطابق معناها مطابقة دقيقة فلا مانع من إدخالها فى اللغة العربية بعد ردها إلى الصيغ العربية » .

وقال الدكتور طه حسين بك « فى العامية ألفاظ عربية فصيحة تغير النطق بها مثل « السيدة » و « الست » فالسيدة عربية والست عربية أيضا ولكننا حين نبحث فى القاموس لانجد لفظة « الست » مع أننا نعلم أن من بين نساء العرب من تسمى بـ « ست الكل » و « ست الملك » .

وقال منصور فهمى باشا : « لقد عثرت على كلمتى « جوانى » و « برانى » الدارجتين فى اللغة العامية وأصبحت أستعملها فى الفلسفة » .

والمتأمل فى هذا الموضوع يجد له ناحيتين : الأولى البحث

ن الـكلمات العامية المنحرفة عن الفصحى وردها إلى أصلها . هذا عمل صالح من غير شك ، فنحن ورثة اللغة العربية وسلائل مرب ، وأ كثر ما يجرى على ألسنتنا له أصول وجـذور فى لغة جدادنا ، ولست أرى جريه على الألسنة ابتذالا له ، بل هو يكسبه لالا وأطيافا نستطيع أن نجمعها إلى الفصاحة برد الـكلمة إلى مصحى . والناحية الثانية أخذ كلمات من العامية لمان لانجد لها ، العربية ألفاظا تفى بدقة التعبير وفاء تلك الـكلمات العامية . يمكن رد هذه الناحية إلى الأولى وإقفال هذا الباب المؤدى إلى طر العجمة . وهنا تظهر فائدة الدراسة التى قال بها فريد بك ، ننا نستطيع بها تعرف الأصل العربى لـكثير من الألفاظ العامية تقضى بها حاجات التسمية والتعبير ، وترجع إلى أمها الفصحى كما يرجع الغائب إلى أهله .

ونأخذ مثلا هذه الألفاظ التى مثل بها حضرات أعضاء المجمع ـكلمة « عينة » التى رأى المجمع صياغتها عربية فوافق عليها كان يمكن إقرار كلمة «عينية» بدلها ، فهذه مصدر مصنوع من كلمة « عين » بمعنى نفس الشيء ، وهى نص فى المعنى المطلوب ، لاحاجة مع هذا إلى التخريج الذى لجأ إليه المجمع فى كلمة «عينة» ما أرى « الحندأ » إلا مأخوذاً من « حندوقة العين » وهذا لأخذ مبنى على تشبيه الشيء «الحندأ» بالحندوقة فى الجمال والصغر الاستدارة . وما أرى « البهوأ » إلا من « البهو » بما يدل عليه ن السعة وبعثرة الأثاث فى جوانبه . أما « الست » فهى كلمة ولدة بالتحريف عن « السيدة » وقد وردت كثيراً فى كلام تأخرين ، وأما « جوانى » و « برانى » فقد أوردهما الصرفيون ، المنسوب على غير قياس .

هـذا وقد قرر مؤتمر المجمع إحالة ذلك البحث إلى لجنتى اللهجات » و « الألفاظ والأساليب » ، ومما يذكر أن اللجنة ثانية أنشئت أخيراً فى المجمع ، أما لجنة اللهجات فهى موجودة نذ إنشائه ، ولم تنجز شيئاً إلى الآن ، وأرى أنها تستطيع أن بت وجودها وفائدتها بتنظيم دراسة الموضوع الذى نحن بصدده وصول إلى نتائج عملية فيه ، كما أرى أن هذا أجدر بجهودها ن الدراسات اللغوية التاريخية التى هى أليق بالمعاهد والجامعات .

حق المؤلف :

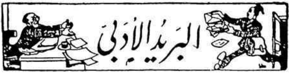
وافق مجلس الجامعة العربية على مشروع القانون الذى وضعته اللجنة القانونية لحماية حق المؤلف ، وأوصى مجلس الجامعة حكومات الدول العربية باتخاذه فى كل منها .

وقد بين المشروع الذين يتمتعون بحماية هذا القانون ، وهم مؤلفو المصنفات المبتـكرة فى الآداب والفنون والعلوم أيا كانت قيمة هـذه المصنفات وبصرف النظر عن استعمالها أو الغرض من تصنيفها . وتشمل هذه الحماية المصنفات التى يكون مظهر التعبير عنها الـكتابة أو الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة . ويعتبر مؤلفاً الشخص الذى ينسب إليه المصنف عند نشره . ويتمتع بالحماية من ترجم مصنفاً إلى لغة أخرى ، ومن قام بتحويل مصنف من ضرب من ضروب الأدب والفنون إلى ضرب آخر ، أو من قام بتلخيصه أو تحويره بمـا فى ذلك كل صور إظهار المصنفات الموجودة بشكل جـديد ، ولا تخل هـذه الحماية بحقوق مؤلفى المصنفات الأصلية وللمؤلف وحـده الحق فى تقرير نشر مصنفه ، وفى تعيين طريقة هذا النشر ، وله أيضاً الحق فى استغلال مصنفه ماليا بأية طريقة يختارها ، وله كذلك الحق فى أن يجيز نقله إلى الجمهور بأية وسيلة كانت ، ولا يجوز لغيره أن يباشر شيئاً من ذلك إلا بإذن كتابى منـه . ولا يجوز نقل الروايات المتسلسلة أو القصص الصغيرة وغيرها من المصنفات الأدبية أو الفنية أو العلمية ، التى ينشرها مؤلفوها فى الصحف أو النشرات الدورية إلا بإذن منهم .

وتضمن القانون عدا ذلك مواد أخرى وتفصيلات لحالات مختلفة فى التأليف الموسيقى والسينمائى وغير ذلك ، كما بين حقوق ورثة المؤلفين .

وقد بين أيضاً جزاء المخالف لأحكامه ، وهو الحبس لمـدة لا تزيد على ثلاثة أشهر وبغرامة لا تزيد على مائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين ، عدا ما تقضى به الحال من التعويضات .

العباس



أكذوبة فظيعة :

سامحك الله يا أستاذ طنطاوى على اتخاذك من الأكاذيب موضوعاً للكلام الفلسفى فى « حكمة القدر » .

سامحك الله مرة أخرى على تصديقك « الأكذوبة الفظيعة » أكذوبة سقوط ابنتى من شرفة الطابق الخامس وقد بلغت سالمة ولم « تمجنها السقطة مجناً » .

ألا تعلم يا صاحبى أنى قاص ألفق الحكايات فأنفخ فى الممكنات من روحى فأصيرها خلقاً سوياً من جسد وروح ؟ أليس من حق القاص أن يتذرع بالأكاذيب علمها بدرك « حكمة القدر » ؟

قد تعرف يا صـديقى أنى كنت أتفرد فى حبك الأكاذيب سواء فيما كتبت ونشرت فى النقد الأدبى ، وفى كتابة القصة ولم أشرك فى تلفيق أحداً ، أما فى هذه المرة ، فإنى أعترف لك بأنى لم أكن — ويا للأسف — الملفق وحدى لأكذوبة سقوط ابنتى « الحلوة » حقاً من شاهق ، بل اشترك فى توشيتها وتنميقها وتنسيقها وعرضها حتى وصلت إليك على النحو الصحيح الذى أذعته ثم نشرته فى « الرسالة » بل اشترك معى فيها .

١ — جيران بيتى وفيه من الطوابق خمسة ومن « الشقق » ثلاثون شقة فمن هؤلاء الجيران من رأى الحادث رأى العين ، ومنهم من سمع به .

٢ — رجال الأسعاف وقد نقلوا ابنتى إلى مستشفى قصر العينى

٣ — أطباء قصر العينى وقد آووها عندهم مدة يومين كاملين

٤ — رجال بوليس قسم الأزبكية وقد أجروا تحقيقاً لمعرفة أسباب السقوط بمحضر رقم (٣٢٥) .

٥ — رجال النيابة وقد حفظوا القضية بنمرة (٩٨٣٠) .

٦ — وأخيراً أطباء مستشفى عانوس وقد عالجوا ابنتى وقد أصيبت بارتجاج فى المخ وقد زال بحمد الله بعد عشرة أيام .

هؤلاء كلهم اشتركوا معى فى تلفيق هذه الأكذوبة التى لا تنطبق حقاً على ناموس الجاذبية ، ولا على القانون الطبيعى ، ولا على أساطير العجائب والمعجزات ، بل ربما تنطبق على « حكمة القدر » .

حبيب الزحلاوى

النساء ملائكة :

عندما صخب أمراء فرنسا ورجال الاقطاع فيها فى دار ندوتهم على الوزير العظيم الكردينال « ريشيليو » وانهالوا يسلقونه بألسنة حداد ، استمع الوزير لصخبهم وضجيجهم فى هدوء المطمئن ، الواثق من نبل غرضه ، وشريف قصده ، وعندما استهل كلامه رداً على ما جاء على ألسنتهم من هجر القول وفحشه قال : « أكثروا من الشتائم واتخذوا منها أكمة فلن تدركوا مقدار إشفاقى عليكم » ثم استمر يتحدث فى صلب الموضوع وصميمه دون الدخول فى مهاترة أو إسفاف . ووالله لا أجد ما أستهل به ردى على الأستاذ الكريم أحمد الشرباصى المدرس بمعهد القاهرة الثانوى ، خيراً مما استهل به الكردينال حديثه . ثم أدلف إلى الصديق أعاتبه ، وإلى الناقد أحاسبه ، فى هدوء المؤمن بعبده والعامل على تنفيذه وما أقصد غير وجه الحق وحده .

لقد شغلك يا صديقى ألوان الصور وجمال المناظر ، عن التعمق فى درس ما بين سطور كتاب « النساء ملائكة » من أغراض نبيلة ، ومبادىء جليلة وآراء . هى كلها دعامات للأخلاق الحميدة . فكم فيه من دفاع عن الفضيلة وكؤوس مترعة بالخمر البريئة ، يستقيها الظمآن فتتشرب نفسه ما فيها من حلال زلال .

وبقدر ما راعتك الصور التى أخرجتك عما أعرفه فيك من هدوء ، وأعهده فيك من إنصاف ، بقدرما أهملت أيها الأخ الصديق تصفح الكتاب ومحاولة نقده نقداً عادلا أرتضى حكمك بعده ، فتصفح الكتاب ، وأنا راض بعد ذلك بحكمك ، ومتقبل نقدك .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

محمود يوسف

الأمين بدار الكتب المصرية

الغوغاء :

فى العدد (٧٦٠) من الرسالة الغراء ، تساءل الأستاذ أبو ماضى عن رأى الأدباء فى ورود كلمة « الغوغاء » مؤنثة فى الفقرة (٦٦١) من نقل الأديب ، مع أن المفهوم أن لفظ « الغوغاء » مذكر ، وأن همزته ليست للتأنيث الخ .

غير أن هذا الذى يعتبره الأستاذ أبو ماضى مفهوماً لا خلاف فيه ليس هو كل شىء فى الموضوع

فقد جاء فى اللسان : الغوغاء ، الجراد إذا احمر وانسلخ من الألوان كلها ، وبدت أجنحته ... الجراد أول ما يكون سروة ، فإذا تحرك فدبا قبل أن تنبت أجنحته ، ثم يكون غوغاء وبه سمى الغوغاء ، والغاغة من الناس . وهم الكثير المختلطون .. يذكر ويؤنث ، ويصرف ولا يصرف ... فمن صرفه وذكره جعله بمنزلة قمقام والهمزة بدل من واو ، ومن لم يصرفه جعله بمنزلة عوراء . قال أبو العباس : إذا سميت رجلا بغوغاء فهو على وجهين : إن نويت به ميزان حمراء لم تصرفه ، وإن نويت به ميزان قمقاع صرفته .

وجاء فى تاج العروس : الغوغاء الجراد ، يذكر ويؤنث ، ويصرف ولا يصرف ، هو أولا سروة ، فإذا تحرك فدبا ، فإذا نبتت أجنحته فغوغاء . كذا فى التهذيب .

وقال الأصمعى : والغوغاء الكثير المختلط من الناس ، سموا بغوغاء الجراد على التشبيه .

وفى نوادر قطرب : مذكر الغوغاء أغوغ ، وهذا نادر غير معروف . ومما تقدم نرى أن كلمة الغوغاء تذكر وتؤنث وتصرف ولا تصرف وأن همزتها مختلف فيها بين أن تكون منقلبة عن الواو وبين أن تكون للتأنيث .

وبالغ قطرب فاعتبر الكلمة مؤنثة بلا نزاع ، واخترع لها مذكراً ! هذا هو حكم اللغة ورأى علماء اللغة ، فلا حرج على ابن السبكى إذا أنث « الغوغاء » فى طبقات الشافعية ، ولا تثريب على فقيد العربية النشاشيبى إذا نقل ذلك بلا تعقيب .

برهان الدين الداغستانى

« لن » لا تقتضى تأكيداً ولا تأبيداً :

قرأت بإعجاب ما كتبه الأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى معقباً على كلام صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا

غير أنه قد استرعى انتباهى فى كلام معاليه هذه العبارة « وإن كما يقرر النحاة هى أشد أدوات النفى للمستقبل إذ تنفيه نفياً باتاً فالقرآن يسجل بصريح العبارة أن الاستطاعة مستحيلة أى أن العلة المتوهمة للتصريح بالتحديد لن تتحقق أبداً »

والذى أعلمه أن لن كما ذهبت إليه جمهرة النحاة لا تقتضى تأبيداً للنفى ولا تأكيداً ، ولم يقل بذلك إلا الزمخشرى فى كتابيه « الأنموذج والكشاف » مستدلا على مذهب المعتزلة فى نفى رؤية الله تعالى حينما تعرض لتفسير الآية الكريمة من سورة الأعراف « قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » حتى لقد صار كلامه فى لن مضرباً للأمثال فقال الأدباء « لن الزمخشرية » وإننى مع احترامى لألمعية الزمخشرى — أضع يدى فى يد النحاة وأذكر للرد على كلامه أدلة منها

١ — أنه لم يقم دليل على كونها للتأبيد

٢ — وأنها لو كانت كذلك للزم التناقض بذكر اليوم فى قوله تعالى « فلن أكلم اليوم إنسياً »

٣ — وللزم التكرار بذكر الأبد فى قوله تعالى « قل لن تخرجوا معى أبداً » .

وأما التأبيد فى قوله تعالى « لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له فمن أمر خارجى لا من مقتضيات لن ، والله الموفق للصواب .

هارون محمد أمين



أسطورة الحب الخالد

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ ماجد فرحان سعيد

كان لأحد الملوك ثلاث بنات . وكان جمال الكبريين رائعاً ساحراً . أما الصغيرة فلقد تفردت بجمال عبقرى يعجز البيان عن إيفائه حقه من الوصف الصادق البليغ . وتضوعت فتنة سحرها وجمالها حتى صار الناس يتوافدون عليها من كل صوب وحدب ليتمتعوا بمشاهدتها ، ويؤدوا لها فروض الاحترام التى لا يليق إلا بڤينوس — إلهة الحب والجمال .

وغضبت فينوس على هذا التمرد الذى بدا لها من الناس ، فهزت رأسها بسخط قائلة : « أمن المعقول أن تقوى هذه المخلوقة البشرية على إهدار كرامتى واغتصابها ؟ اولكننى سأجعلها تتندم وتتمنى لو لم يكن لهـا ذاك الجمال الخارق ! » . ثم دعت ابنها كيوبيد — وهو كما نعلم إله الحب — واستثارته بشكواها قائلة : « كل ما أريده منك يا ولدى العزيز أن تعاقب بسيشى ، تلك الحسناء المتمردة ؛ أريد أن تنتقم لى منها انتقاماً يطفىء غلتى ؛ دعها مثلا تعلق بحب شخص حقير ، يذيقها من صنوف الإهانات أمرها وأقساها ! » . فتأهب كيوبيد لتنفيذ أوامرها ؛ وذهب إلى حديقتها الجميلة ، حيث يوجد نبعان ، أحدهما عذب ، والآخر ملح أجاج . وملأ من كل منهما إناء ، وأسرع به إلى مخدع بسيشى ، حيث وجدها نائمة ؛ وذرف على شفتيها بضع قطرات من الماء الملح ؛ ولكن منظرها الفاتن كان قد أثار فى قلبه آنذاك كوامن الحب والإشفاق . ثم وخز جانبها بطرف سهمه فاستفاقت مذعورة ، وفتحت عينيها لتشاهده ، إلا أنها لم تتمكن من رؤيته لأنه كان متخفياً . فاضطرب لحركاتها حتى جرح نفسه بطرف سهمه . ولكنه لم يعبأ بجرحه ، وكل ما كان يبتغيه أن يخفف من الضر الذى ألحقه بها ؛ ولذلك عاد فذرف على جرحها بضع قطرات من البلسم الصافى .

ولم تجن بسيشى نفعاً من سحرها وجمالها بعد أن حل عليها غضب فينوس ، لأن أحداً لم يتقدم إليها طالباً الزواج ، مع أن أختيها ، وهما لا تضاهيانها سحراً وجمالا تزوجتا منذ وقت طويل . وجلست الحسناء وحيدة فى مخدعها ، وسئمت هذه الوحدة حتى وهذا الجمال ، هذا الجمال الذى نالت به أكبر المدح والإطراء ولكنه عجز عن إيقاظ الحب فى القلوب .

وخشى أبواها أن يكونا قد أثارا سخط الآلهة ، ولذلك استشارا الكهان فى أمرها ؛ فعلما إذ ذاك بأنه كتب لها أن لا يكون زوجها من البشر ، وإنما هو وحش مروع ينتظرها على قمة جبل قريب . فملأت هذه الكلمات قلبيهما رعباً وحزنا ؛ ولكن بسيشى قالت لهما : — « ولم تنتحبان على الآن ؟ لقد كان أجدر بكما لو حزنتما عند ما كان الناس ينثرون على باقات الثناء الذى لا أستحقه ، حتى بلغ بهم إجلالى أن دعونى فينوس ! إننى أقدر الآن بأننى ضحية ذلك اللقب ؛ هيا إذا أوصلانى إلى الجبل الذى سألاقى عليه حظى العاثر ! » .

وتمت جميع الترتيبات ؛ وأخذت الحسناء مكانها فى الموكب المتوجه إلى الجبل ، ما بين نحيب الناس وعويلهم . وهنـاك تركوها وحيدة ، وعادوا إلى بيوتهم .

وقفت الحسناء على حافة الجبل بقلب لاهث من شدة الخوف ، وعينين محمرتين من كثرة الدموع . وإذا بالريح الغربية اللطيفة تأتى وتحملها إلى واد مزهر . وهناك ألقت بنفسها على الضفة الخضراء واستسلمت للنوم . ولما استفاقت نظرت حولها ، وإذا بها ترى حديقة غناء ضفرت على حفافى ممراتها أكاليل من الخضرة الزاهية ؛ فدخلتها ، ودهشت إذ رأت فى وسطها نبعاً تفيض منه مياه بلورية صافية ، وبالقرب من النبع قصراً بهياً ، أعمدته ذهبية لامعة ، وجدرانه مرصعة بالرسوم والنقوش البديعة التى ترتاح لها العين ، وتنعم القلب بالبهجة والسرور .

وعندما توغلت فى الحديقة ، رأت غرفاً وقاعات فخمة ، تغص بالكنوز الثمينة وبثمرات الفن الرفيع والطبيعة الخلابة .

وإنها لكذلك، إذ بها تسمع صوتاً يخاطبها قائلا : « أيتها الفتاة الفاضلة ! إن كل ما ترينه ملك لك ! وإنما الأصوات التي تسمعينها أصوات جواريك اللواتي ينتظرن تنفيذ ما تأمرين به . فإذا ما أردت الاستراحة فهناك على فراشك الوثير ؛ أما العشاء، فإنه ينتظرك في الخميلة المجاورة » .

وفعلت الحسناء كما أشير عليها ؛ فبعد أن استراحت جلست في الخميلة ، حيث وجدت مائدة ممدة ، عليها من المأكولات ألذها ، ومن الخمور أجودها . كما وإنها شنفت أذنيها لسماع الألحان العذبة التي كانت تعزفها فرقة موسيقية خفية .

ولكنها حتى ذلك الوقت لم تكن قد رأت زوجها الموعود ، لأنه كان يأتيها في ساعات الظلام ، ويغادرها قبل انبثاق الفجر . ولطالما تضرعت إليه أن يمكث عندها لتتمكن من مشاهدته ؛ ولكنه لم يكن ليوافق أبداً ، بل كثيراً ما كان يقول لها : — « ولم ترغبين في مشاهدتي ؟ هل تشكين في حبي لك ؟ إنني أخشى إن رأيتني إما أن تخافي مني ، أو أن يستحيل حبك لي عبادة حارة ؛ وكل ما أرجوه أن تقابليني بمثل حبي ! » .

وكان هذا الجدال قد هدأها مدة من الزمن ، لا سيما وقد استمرأت تلك السعادة التي رتعت فيها . ولكنها عندما كانت تخلو بنفسها ، كانت تحن إلى أبويها وأختيها . وفي إحدى الليالي طلبت من زوجها أن يسمح لأختيها بزيارتها . فمنحها ذلك الطلب عن طيبة خاطر .

وأمرت الحسناء الريح الغربية بإحضارهما . فأقبلتا في الحال ، وعانقاها وتبادلن القبل مراراً. ثم دعتهما لدخول مخدعها والقصر الذهبي ، وأرتهما هناك كنوزها العديدة . فلما شاهدتا ما هي عليه من النعمة ورخاء البال ، بدأ الحسد ينخر في صدريهما . ولما استدرجتاها إلى الاعتراف بأنها حتى ذلك الحين لم تكن قد رأت زوجها ، بدأتا تنويانها على خيانته ، وتوغران صدرها بشتى أنواع الشكوك ؛ وفي ذات مرة قالتا لها : — « أنسيت ما تنبأ به الكهان من أن زوجك ليس إنساناً ؟ ! إنه وحش مريع يغذيك الآن بكل لذيذ ليأكلك في النهاية لقمة سائغة ! فاعمل يا أختاه بنصيحتنا ؛ جهزي نفسك في الحال بمصباح وسكين حادة ؛ وعند ما يكون زوجك غارقاً في نومه ، أشعلي المصباح ، واقتربي منه ، وقفي بنفسك على حقيقة حاله . فإذا تأكدت من صحة ما نقول ، فلا تتواني دقيقة في قطع رأسه لتتخلصي منه ! »

وقاومت بسيشي هذا الإغراء في بادىء الأمر ؛ غير أنها استسلمت له في النهاية . وما إن أضاءت المصباح واقتربت من زوجها ، حتى شاهدت بدلا من الوحش المخيف الذي حذرت منه ، إلاها جميلا ساحراً ، تتدلى على رقبته العاجية ووجنتيه الوردتين ، ضفائر ذهبية من الشعر ، وينتصب على كتفيه جناحان نديان أبيضان ، عليهما ريش لامع كنوار الربيع . وعندما أدنت المصباح من وجهه ، سقطت على كتفه قطرة من الزيت الساخن فاستفاق إذ ذاك مذعوراً ، وحدق فيها برهة ، ثم أطلق جناحيه للريح ؛ وطار من النافذة دون أن يفوه بكلمة واحدة . وعبثاً حاولت بسيشي أن تلحق به ؛ فلقد سقطت من النافذة على الأرض . وعندما رآها كيوبيد تتمرغ بالتراب ، توقف عن طيرانه ورجع إليها ثم قال : — « أهكذا تقابلين حبي أيتها البلهاء ؟ أهكذا ، بعد أن عصيت أوامر والدتي واتخذتك زوجة لي ، تذعنين لإغواء أختيك وتحاولين قتلي ؟ ولكن ارجعي إليهما وافعلي ما تشائين ! واذكري أنني لن ألحق بك أي قصاص سوى أن أهجرك إلى الأبد ؛ إذ كيف يمكن للحب أن يأوي ما بين الشكوك ؟ ! » وما كاد ينهي كلامه حتى طار بعيداً وتركها مستلقية على الأرض تملأ المكان بعويلها ونحيبها .

واستعادت الحسناء بعض رشدها ونظرت حولها ، وإذا بالقصر والجنان قد تلاشت واختفت ؛ ووجدت نفسها على مقربة من مسكن أختيها . فقصدته ، وقصت عليهما ما حدث . فتظاهرتا بالحزن والإشفاق ، ولكنهما قد ابتهجتا داخليا ، وظنتا بأنه من الممكن أن يختار كيوبيد إحداهما بدلا منها . غير أنهما لم تجهرا بتلك الخطة ، بل صعدتا في الصباح التالي إلى الجبل ، ونادتا على الريح الغربية لكي تحملهما إلى كيوبيد . فلما قفزتا في الهواء ، سقطتا في الهاوية وقضى على حياتيهما .

أما بسيشي ، فقد أخذت تهيم على وجهها ليل نهار ، باحثة عن زوجها . فوقعت عيناها على رأس جبل شامخ ، يطل من فوق حاجبه هيكل بهي ، فتنهدت وقالت في نفسها : — « أليس ممكنا أن يكون حبيبي هناك ؟ ! » . وأسرعت صوب قمته . وما كادت تدخله حتى رأت فيه أكواماً كبيرة من الحنطة والشعير ، نثرت حولها المناجل وآلات الحصاد . وأرادت أن تسترضي فينوس ، ولذا عمدت إلى فصل هذه الأشياء بعضها من بعض . فلما رأتها سيريس — إلهة الحصاد — منهمكة في العمل ، خاطبتها قائلة : « مسكينة أيتها الفتاة ! ولكن

لا تكتئبي ، فسأرشدك إلى طريقة تهدئين بها غضب فينوس . إذهبي إليها ، وأظهري لها كل خضوع واحترام ، تنالى عفوها ، وتسترجي زوجك المفقود» فوافقت بسيشى على هذا ، وتوجهت إلى هيكل فينوس . فلما رأتها الإلهة ، لمت عيناها ببارق من الغضب ، وقالت : — «أتذكرين الآن فقط بأنني سيدتك ، أم جئت ههنا لتزوري زوجك المريض؟ سأختبرك الآن لأرى ما إذا كنت صالحة لأن تكونى زوجة له ! » ، وأمرت أن تتبعها إلى مخازن الهيكل حيث توجد كميات كبيرة من القمح والشعير والفول والذرة ، وقالت لها : — «أريني اجتهادك الآن فى فصل هذه الحبوب ، بعضها عن بعض ، على أن تنتهى من ذلك قبل حلول المساء ! » . فلما أجالت بسيشى النظر فيما حولها ، وقفت بدهشة ويأس وذهول أمام تلك الكومة الكبيرة التى تحتاج إلى عمل مضن طويل . وأثار كيوبيد الشفقة فى نفوس جيش من النمل ؛ وإذ ذاك توجه به نحو الكومة حيث فصل كل نوع على جانب ؛ ثم اختفى كيوبيد ومن معه فى أقل من طرفة عين .

وعند حلول الغسق ، جاءت فينوس تميس بقدها اللطيف ، وتتيه بتاجها المحلى بالزهور . ولما رأت العمل قد تم ، لم تصدق أن بسيشى هى التى أنجزته . ولذا عزمت على اختبارها مرة ثانية . فدعتها فى الصباح التالى وقالت لها : «أترين تلك الحديقة الممتدة على حفاف النهر ؟ هناك ستجدين قطيعاً من الخراف ، عليها أصواف ذهبية لامعة . اذهبي فى الحال وأحضرى إلى عينات مختلفة منها »

وذهبت بسيشى إلى ضفة النهر عازمة على تنفيذ ما أمرت به ولكن إله النهر أوحى إلى الأقصاب النابتة على ضفتيه بنغمات موزونة انسابت تخاطبها قائلة : — لا تحاولى أيتها الحسناء أن تقتربى الآن من النهر لئلا يغمرك فيضانه المظيم ! ولا تقتربى أيضاً من الكباش لئلا تقتلك بقرونها الطويلة ! ولكن انتظرى إلى ما بعد الظهر ، فيستريح القطيع تحت ظلال الأشجار وتستطيعى آنذاك أن تجوزى بأمان ، فتجدى قطع الصوف الذهبى عالقة على الأشواك وعلى جذوع الأشجار ؛ وما عليك آنئذ إلا أن تجمعيها وتعودى بها إلى سيدتك ! » فعملت بسيشى كما أشير عليها ، ورجعت ويداها مملوءتان صوفاً لامعاً براقاً . وللمرة الثانية لم تحظ بسيشى برضى سيدتها التى أرادت أن تختبرها فى ما ستؤول إليه تجربتها الثالثة والأخيرة ؛ فقالت لها : — « خذى هذا الصندوق واذهبي به إلى پروزرباين — مليكة عالم الأموات — وقولى لها : إن سيدتى فينوس ترجوك بأن تضعى لها فى هذا الصندوق شيئاً من جمالك ، كيما تستعيد بواسطته ما فقدته من حسنها وروائها فى أثناء اعتنائها بابنها المريض ...

ولكن حذار من أن تتأخرى عن الرجوع به قبل حلول المساء ! » . فظنت بسيشى أن هذا واسطة للقضاء عليها ، إذ كيف تستطيع الوصول إلى الظلال الجهنمية مشياً على الأقدام ؟ ولذا صعدت إلى برج عال لتقذف بنفسها عنه ، فتهبط إلى الظلال الخانقة فى أقصر وقت . ولكن صوتاً من البرج صاح بها قائلا : «ولم تعمدين أيتها الحسناء إلى الانتحار بهذه الطريقة الزيمة ؟ » ثم دلها الصوت على طريقة تستطيع بها أن تجوز إلى العوالم الجهنمية بأمان ؛ ولكنه حذرها من فتح الصندوق . فعملت بموجب إشارته ووصلت بسلام إلى قصر الإلهة پروزرباين حيث ملىء لها الصندوق بأثمن نوع من الجمال ، ثم أغلق وأعيد إليها ؛ فرجعت به قانعة مسرورة ؛ ولكن ألحت عليها فى الطريق رغبة حافزة فى فتحه ، لتأخذ شيئاً من الجمال الإلهى ، فتطلى به وجنتيها ، وتظهر أمام حبيبها بمظهر فاتن أنيق . وفتحته ؛ وبلغت بها الدهشة أقصاها عندما لم تجد فيه شيئاً من الجمال قط ، وإنما انبعث منه نوم جهنمى استولى عليها وأسقطها فى الحال على قارعة الطريق .

أما كيوبيد فقد برح به الشوق للقاء حبيبته ؛ فذهب إليها ، وجمع النوم عن جسمها ، وأعاده إلى الصندوق ، وأيقظها بوخزة خفيفة من طرف سهمه ، ثم قال : «أهكذا يعود بك حب الاستطلاع فيغويك مرة ثانية ويكاد يودى بك إلى الهلاك ؟ ! ولكن ما عليك من بأس ؛ أتمى الآن فقط ما فرضته عليك والدتى ، وستنسى الماضى ثم طار كالبرق وحلق فى أجواء الفضاء ، وطلب من المشترى — إله السماء العظيم وملك الآلهة جميعاً ! — أن يتوسط لدى أمه لتوافق على زواجه من بسيشى وتباركه . ففعل المشترى كذلك وعند ما نال موافقتها ، أمر بإحضار بسيشى إلى القصر السماوى حيث قدم لها شراب الآلهة ثم قال : «تشربين منه فتصبحين خالدة وسيدوم زواجكما إلى الأبد !

وهكذا استطاعت بسيشى بعد أن طهرتها المصائب والتجارب من أدران الخطيئة أن تتحد مع كيوبيد ، وأن تنعم معه بسعادة الحب الخالد .

ماهر فرهاد سعيد